الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف لـميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

أثر السياق في إنتاج الدلالة

- مختارات من شعر حسان بن ثابت-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبة:
نورة قردوح

إشراف الدكتورة:
سهام سراوي

السنة الجامعية 2024-2025

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على

أداء هذا الواجب ووفقني إلى إنجاز هذا العمل

بكل تجليات العرفان أقدم عظيم شكري للأستاذة الدكتورة "

سهام سراوي" التي لم تبخل علي بنصائحها ووقتها وتوجيهاتها

كلما دعت الضرورة لعمل هذا البحث

لها مني كل عبارات الحب والشكر والتقدير لجل نصائحها

ولمن ساهم في إتمام هذا البحث

إهداء

إلى والدي الكريمين

..... عرفانا

إلى زوجي الكريم

..... تقديرا

إلى ولدي عبد الرحمن

..... محبة

إلى جميع الأهل والأحباب

..... مودة

إلى كل ذي علم

..... توقيرا

مقدّمة

يعدّ السياق أداة أساسية في استنطاق الحروف الجامدة ورصد المعاني ومقاصد المتكلم في استعمال حروف دون حروف وكلمات دون كلمات، فينكشف النص في تجل جديد، وتأخذ القراءة منحى آخر في قطف معانيه لم تكن لتظهر لولا توسل السياق في طياته إذ يحتل مركز الدائرة في الأبحاث المتعلقة بلسانيات النص، وقد حظي باهتمام كثير من قبل العلماء قديما وحديثا بعد إدراكهم أن المعنى لا يتحدد إلا من خلال السياق، فهو أحد القرائن الكبرى التي تكشف عن أغراض ومقاصد المتكلم، ولأن قرينة السياق تمتد على مساحة واسعة تنطلق من المستويات اللغوية المعروفة، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، لتصل إلى لبّ المعاني على اختلاف أنماطها.

انطلاقا من هذا الطرح سعينا لمعالجة قضية السياق وأثره في بحث موسوم ب" أثر السياق في إنتاج الدلالة – مختارات من شعر حسان بن ثابت–" عنوان تتمحور فكرته حول ظاهرة السياق وأثرها ودورها في إنتاج الدلالة من خلال تجلياته في شعر حسان بن ثابت، بغية الإجابة عن جملة من التساؤلات وهي:

– إلى أي مدى كان للقرائن السياقية أثر في بناء الدلالة؟

– كيف تجسدت مظاهر السياق في شعر الصحابي حسان بن ثابت– رضي الله عنه–؟

– ما هي تجلياته على مختلف المستويات اللسانية ؟

اختيار موضوع البحث راجع لاعتبارات موضوعية وذاتية، أولهما هي محاولة الكشف عن تجليات السياق في النصوص الشعرية وثانيهما هي الرغبة الملحة في الإلمام بحياة حسان بن ثابت كونه شاعر رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ودراسة شعره من الناحية السياقية.

ولعله من الأهداف والمرامي الأساسية لهذا الموضوع هو بيان فاعلية السياق ووظيفته في الكشف عن الدلالة السياقية في شعر حسان بن ثابت، فأهمية هذا الموضوع تكمن في تسليط الضوء على شعره وتقديمه برؤية سياقية تنكشف مكنونات دلالة السياق من خلاله.

وعليه تمت هيكلة خطة البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة، أما الفصل الأول فكان بمثابة تأطير نظري لمفردات العنوان، ضم في جزئه الأول التعريف بالسياق وذكر أنواعه و عناصره، ثم انتقلنا إلى جزئه الثاني وقد خصصناه للحديث عن الدلالة بتعريفها وذكر أقسامها و كان الجزء الثالث لبيان أهمية السياق وعلاقته بمستويات التحليل اللغوي .

أما الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي عُنون ب:" أثر السياق في إنتاج الدلالة – مختارات من شعر حسان بن ثابت –" وانقسم إلى جزئين، قدمنا في الجزء الأول أثر السياق على مستوى البنية المعجمية من حيث المستوى الصوتي والصرفي وفي الجزء الثاني أثره على مستوى البينة التركيبية من حيث المستوى النحوي والدلالي، وأنهينا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج.

وعليه قام البحث على المنهج الوصفي، لأنه عماد الدراسات الحديثة كما أنه يعنى بدراسة الظواهر اللغوية.

لتعزيز قوة البحث استندنا إلى مجموعة من المراجع، كان منها: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة لعلي آيت أوشان، ونظرية السياق بين القدماء والمحدثين لعبد النعيم خليل وغير ذلك من المراجع التي تلمس موضوع البحث.

من صعوبات البحث سعته وعمقه، إذ لا يمكن حصره في نقاط محدودة، ومحاولة انتقاء الأنسب من شعر حسان بن ثابت ودراسته دراسة سياقية والتطرق إليها.

شكر جزيل للدكتورة المشرفة " سهام سراوي" لنصائحها و جميل صبرها، وشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة على قراءة البحث وتقديم النصائح والتوجيهات.

والحمد لله رب العالمين، فما هذا إلا جهد مقل، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان .

الفصل الأول

ضبط المفاهيم

1 - السياق .

1.1- ماهية السياق لغة واصطلاحا.

السياق محور رئيسي من محاور علم الدلالة، وهو ثمرة من ثمرات اللسانيات، إذ جعلت منه نظرية ومنهجا خاصا في دراسة المعنى، حيث اهتم به العلماء على اختلاف توجهاتهم وهذا لأهميته البالغة.

أ- السياق في الوضع اللغوي :

إن لمادة (س.و.ق) جملة من الدلالات في المعاجم العربية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

جاء في " معجم مقاييس اللغة " لابن فارس (ت 395هـ) يقول:" السِين والوَاو والقَاف أَصلٌ واحدٌ وهو حَدْوُ الشيء يُقَال سَاقَهُ يَسُوقُه سَوقا، والسَّيِّقة : ما سيق من الدّواب ويقال سقت امرأتي أي صداقها، وأسقته والسوق مشتقة من هذا كما يساق إليها مذكر شيء والجمع أسواق، وساق للإنسان وغيره والجمع سوق وإنما سميت بذلك لأنّ الماشي ينساق عليها."[1] فالسياق عنده هو حدو الشيء.

وذكر الزمخشري (ت 538هـ) في " أساس البلاغة ": ومن المجاز :ساق الله إليه خيرًا، وساق إليها المَهْرَ وساقت الريح السّحاب ...وهو يسوق الحديث أحسن سِياق، وإليك يساق الحديث وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سَوْقِه :على سَرِدِه". [2]

---

[1] – ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، 117/3 مادة (س.و.ق).

[2] – الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار صادر، بيروت– لبنان–، ط1، 1998م، 314/1، مادة (س.و.ق).

وأما ابن منظور (ت711 هـ) في " لسان العرب " فيقول:" السياق مأخوذ من: (ساق، يسوق- سوقا- وسياقا) وهو سائق وسوّاق وأصل السياق السَّواق. وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوُقًا إذا تتابعت.[1]

وبهذا يتبيّن أنّ هذه المادة تدور في فلك التتابع والاتصال، واستعمال العرب لها ولمشتقاتها يدور ضمن هذا المعنى، كما تثير معنى الارتباط والتسلسل والانتظام في سلك واحد, ومعنى التآلف والتوارد.

ب - السياق في الوضع الاصطلاحي :

نجد لمفهوم السياق من الناحية الاصطلاحية اهتماما من اللغويين العرب والغربيين أيضا فكل كان له زاوية نظر يقدم بواسطتها تعريفا خاصا بالسياق، لأجل ذلك نجد مفاهيم عدّة له خاصة في العصر الحديث ولعل ذلك يفسر باتساع دائرة الاهتمام به في الدراسات اللغوية.

- أولا : عند العرب .

هو" إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية ومقياس تتصل به الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدّمها النص للقارئ .[2] فالسياق هو الذي يؤطر النص وتكونه مجموعة المعطيات المشتركة بين الباث والمتلقي والأوضاع الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة.[3]

والسياق بصفة عامة لا ينفصم عن النص لأنه جزء منه، فلا وجود لنص خارج السياق، ف" النص المنجز لا يتم تحليله لغويا إلا عن طريق هذا التفاعل بين المبدع والمتلقي، بين جسد النص ومدلولاته

[1] - ابن منظور، لسان العرب، ، دار صادر، بيروت - لبنان- ،ط2، 2003م، 304/07 ، مادة (س.و.ق).

[2] - عبد الرحمن يشلاغم، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي، تفسير فخر الدين الرازي سورة المؤمنون أنموذجا، رسالة ماجيستير، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، 2014م، ص59.

[3] - ينظر: فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص- أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب- دار نينوي للطباعة والنشر، دمشق، 2011م، ص6.

الحديثة والزمانية والمكانية. إنه باختصار شديد كائن حي يتشكل مع القراءة الواعية والتحليل الهادف الذي يجعل للسياق والموقف دورا أساسيا عند التحليل. هذا السياق هو الذي يحدد مكونات النص، بل ويوجدها."[1]

من خلال هذه التعريفات يتضح لنا أنّ السياق يظهر مراد المتكلم من خلال تتابع الكلام وانسجام التعبير في دلالته على المعنى من خلال سابق الكلام ولاحقه، وعليه فالقاسم المشترك ما بين المعنى اللغوي والاصطلاحي هو تظافر مكوّنات الحدث الكلامي وغير الكلامي وتتابعها في إتمام الصورة المبتغاة بين الباث والمتلقي.

- ثانيا: عند الغرب:

السياق (The Context) في علم الدلالة في الدراسات الغربية اليوم، يضم على الوجه العام نوعين :

أولا: السياق اللغوي (أو السياق المقالي) (Linguistic Context).

ثانيا : السياق المقامي (سياق الموقف أو الحالي) (Situational Context)

وهما تفصيلات لمفهوم واحد هو السياق، وأمّا قاموس اللسانيات ل " جون ديبوا" فيحدّد السياق بأنه :

أولا: المحيط (Environment) أي الوحدات التي تسبق أو تلحق وحدة محدّدة، ويسمى بالسياق أو السياق الشفوي.

ثانيا: مجموع الشروط الاجتماعية الممكن أخذها بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللساني... وغالبا ما يحدّد السياق بالسياق الاجتماعي للاستعمال اللغوي، وهو

[1] – أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، 2001م، ص47.

أيضا السياق المقامي وهو مجموع المعطيات المشتركة بين المتكلم والمستمع في المقام الثقافي والنفسي والتجارب المشتركة بينهما والمعارف الخاصة لكل منهما.[1]

ويعرف " غريماس وكورتيس" السياق في قاموس " السيميائيات" بأنه: مجموع النصوص التي تسبق و/أو تواكب وحدة تركيبية معيّنة، وتتعلق بها الدلالة، حيث يمكن له أن يكون صريحا (Explicite) أو لسانيا، ويمكن أن يكون ضمنيا (Implicite) ويتميّز في هذه الحالة بأنه سياق خارج لساني (Extra-Linguistique) أو مقامي (Situatinnel) ، ويعرفه قاموس (Language Teaching and Applied Linguistics) : بأنه ما يقع قبل و/ أو بعد كلمة أو عبارة أو حتى لفظ أو نص أطول، والسياق يعين في فهم المعنى الخاص للكلمة أو العبارة... والسياق قد يكون الحالة الاجتماعية الأوسع التي يستعمل فيها عنصر لغوي" [2]

وبهذا فإنّ الاصطلاحات الغربية لا تقابل الوحدات المقالية والوحدات المقامية بمصطلحين لكل منهما، بل تضع لذلك مصطلحا واحدا وهو السياق يقومون بعد ذلك بتحديد أنواعه.

وعلى هذا فالسياق هو ما يسبق أو يلحق الوحدة اللغوية من وحدات أخرى تتحكم في وظيفتها وتسهم في معناها، وفي مجال اللسانيات يمتد ليشمل سياق الموقف وهو كل الظروف والملابسات التي تحيط بالنص ممّا يتصل بالمتكلم ومقاصده واهتماماته، والمخاطب وما بينه وبين المتكلم من علاقة.[3] بالإضافة إلى المحيط العام الذي حدث فيه الخطاب.

2.1- أنواع السياق.

تحمل الكلمة الواحدة دلالات متنوعة ومتعددة، فإذا ما تم وضعها في سياق محدد كشفت المعنى المراد والمطلوب وبهذا فالمعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية.

---

[1] - ينظر: علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب- ، ط1 ، 2000م، ص 34.

[2] - المرجع نفسه، ص 32- 34.

[3] - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة- مصر- ، ط 7، 2009م، ص 69.

ومن هنا كانت فكرة دراسة معاني الكلمات المنطلق الأول فيها والأساسي هو تحليل السياقات والمواقف التي ترد فيها، " ولا ينكر أنّ دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها".[1]

وتصنف هذه السياقات التي على أساسها يدرس المعنى وفق ما يلي:

أ- السياق اللغوي :

يعتبر السياق اللغوي القاعدة الداخلية أو الإطار الداخلي للغة، إذ يحدد دلالة المقصود من الكلمات والأصوات والجمل في تتابع الحدث الكلامي في نص لغوي، فهو يحدد معناها من خلال المراد بأول الكلام ولاحقه.

ويتكلم الباحثون عن مدلول السياق اللغوي ويرتكزون في ذلك على ما قدمه " فيرث" صاحب النظرية السياقية حيث صرّح بأنّ:" المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وصفها في سياقات مختلفة "[2] أي أنّ النظرية السياقية هنا ركزت على السياق الداخلي.

ويتعلق السياق اللغوي بالبنية اللغوية، ويطلق عليه أيضا السياق المقالي وهو في مفهومه العام مجموعة الوحدات اللغوية المحيطة بالكلام، من مفردات وجمل وخطابات وهذا الصنف من السياقات يفهم من خلال تركيباته النحوية، ويعرفه " أحمد حساني" في كتابه " مباحث في اللسانيات" بقوله :" السياق اللساني هو الحَواليَة أو المحيط الدلالي الذي يحدّد مدلول العناصر اللسانية، فيختلف المدلول باختلاف السياقات الواردة فيها".[3]

---

[1] – محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، دار الشروق، بيروت – لبنان–، ط1، 2000م، ص 115.

[2] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص68.

[3] – أحمد حساني، مباحث في اللسانيات مبحث صوتي، مبحث تركيبي، دلالي، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 2013م، ص285.

وعرّف أيضا أنه " حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة مع كلمات أخرى مما يكسبها معنى محددا، وكل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة(بنية النص) من تسلسل العناصر وترتيبها، وتقارن المفردات وتتالي الوحدات وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية، وهي تسبح في نطاق التركيب"[1]

كذلك يعرف السياق اللغوي بالوعاء النحوي والبلاغي الذي جاءت فيه الكلمة أو العبارة في فهم المعنى بالنظر إلى الأسلوب، وبالنظر إلى ما قبلها وما بعدها من الكلام، فالأسلوب اللغوي هو جزء من السياق العام، لأننا نقصد به المعنى النحوي أو الوظيفي للجملة التي قد تكون لها أكثر من معنى محتمل وهنا يأتي الأسلوب اللغوي الذي سبق فيه النص فيرفع الاحتمال ويحدّد المعنى المراد مع الاستعانة بباقي القرائن السياقية فيفهم معنى الكلمة بصورة متكاملة في ظل النص كله.[2]

وفي بيان أهمية السياق اللغوي في دلالته على المعنى المراد يقول أحمد مختار عمر:" إنّ البحث في تفسير للظاهرة اللغوية خارج إطار اللغة يشبه البحث عن منفذ للخروج من حجرة ليس لها نوافذ ولا أبواب، فالمطلوب منا أن نقنع بتقصي ما هو موجود داخل الحجرة أي ندرس العلاقات داخل اللغة" والسياقات اللغوية يظهر أثرها في كون:" أنها تحدد مجالات الترابط والانتظام بالنسبة لكل كلمة، مما يعني تحديد استعمالات هذه الكلمة في اللغة" [3]

فهو إذن الهيئة التي ائتلفت فيها الكلمات مع بعضها ومكان هذه الائتلافات ودراسة علاقة الألفاظ ببعضها البعض لفهم الدلالات الناتجة عنها ضمن سياق لغوي محدّد، والمتتبع له يجده ذا أثر في المعنى، ويعد الأهم من بين أنواع السياق لأنه أكثر طواعية للملاحظة والتحليل.

[1] – ينظر: فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، ص 22.

[2] – ينظر: ياسر أحمد الشمالي، السياق اللغوي وأثره في فقه الحديث النبوي، مجلة دراسات العلوم الشرعية والقانون، الأردن، مج28، العدد1، 2011، ص195.

[3] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص73/ 78.

ب- السياق غير اللغوي:

ويعني به الخلفية غير اللغوية للكلام أو النص، أي مجموع العناصر غير اللغوية التي يكتسب الكلام أو النص من خلالها تمام معناه في الاستعمال ومن هذه العناصر الكلام السابق، والإطار الاجتماعي الذي يتم فيه مصطلح عالم اللغة البريطانية "فيرث" فهو الخلفية غير اللغوية للكلام من حيث كونها عنصرا أساسيا في المعنى يوازي في أهميته العوامل اللغوية نفسه كالأصوات والتراكيب.[1]

أي أن النص يحيط ظروف وملابسات خارجية تشتمل على المقامات المختلفة التي ينجز ضمنها النص، فيصيب المدلولات التغير إذا تغيرت واختلفت المواقف، نجد هذه السياقات تتمثل في:

- السياق المقامي :

إن المعنى لا يتحقق في الواقع الفعلي إلا بالاستعمال في سياق موقفي معين، فوصف اللغة لا يكتمل مالم يكن مرتكزا على السياق المقامي الذي يرد فيه الحدث الكلامي، فله أهمية كبرى في تحديد المعنى بوضوح لا لبس فيه ولا غموض، فمحاولة فهم المقال منفصلا عن المقام الذي قيلت فيه يجعل هذا الفهم قاصرا أو خاطئا.

" فهو الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، فتتغيّر دلالتها تبعا لتغير الموقف أو المقام، وقد أطلق اللغويون على هذه الدلالة مصطلح الدلالة المقامية".[2]

و يسمى أيضا سياق الموقف، سياق الحال أو السياق الخارجي، كونه شاملا لكل ما يحيط باللفظ من عناصر غير لغوية قد تتصل بجنس المتكلم أو المخاطب كما قد تتصل بالعصر أو الإيماءات

[1] – ينظر: فوزي عيسى، رانيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 2008م، ص 114-115.

[2] – ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق، ط1، 2001م،ص90.

والإشارات التي تكسب اللفظة معاني محدّدة، فهو بذلك " مجموعة المكونات الخارجية من الأنشطة والاهتمامات والقيم والأحداث التي تصاحب الأداء اللغوي وتحيط بالعملية التواصلية"[1]

ويبيّن أحمد حساني أن سياق الموقف هو:" الإطار الخارجي الذي يحيط الانتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي"[2] وقد أشار أحمد مختار عمر بأن الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة مثل استعمال كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس: (يرحمك الله) (البدء بالفعل)،وفي مقام الترحم بعد الموت : (الله يرحمه) (البدء بالاسم) فالأول تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دلّ على هذا السياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير.[3]

يلعب السياق المقامي دورا مهما بالنسبة للنصوص والملفوظات من حيث الإحالة على الأشياء في العالم غير اللغوي الذي تقدمه بعض العناصر اللغوية من قبيل الضمائر وظروف الزمان والمكان والتي يصعب فهمها إلا إذا دعمت بإطار مقامي يكشف عن معانيها.

ففهم النّص وفق سياق الموقف يكون من خلال معرفة كل القرائن والظروف التي تحيط به، كونها كفيلة بإزالة اللبس والغموض، وهذه الملابسات المحيطة بالنصوص قد تستغرق ما هو لفظي وما هو غير لفظي، وهي مرتبطة بالزمن والمكان، وقد أجمل " هادي نهر " عناصر سياق الموقف في النقاط التالية: [4]

- القرائن الحالية وأنماط الوقائع المحيطة بالمقال اللغوي.
- الحالة النفسية أو العاطفية لأطراف العملية التواصلية.
- نوع الخطاب الذي يحمله النص اللغوي، سواء كان خطابا قضائيا أو دينيا أو سياسيا وغيره.

[1] – هادي نهر، دراسات في اللسانيات، ثمار التجربة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011م، ص229.

[2] – أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 158.

[3] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص71.

[4] – هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م، ص 216-217.

- طبيعة النص وغايته المتوخاة أو المقصودة في المشاركين سواء كانت إغراء أو إقناعا.
- مكان الكلام وجنس المتكلمين وجنس من شهد الموقف الكلامي.
- الإشارات و الإيماءات المصاحبة للعملية التواصلية.
- التاريخ أو الزمن الذي تجري فيه أو جرت فيه العملية اللغوية لأنّ التاريخ جزء من فعل السياق في تحديد الدلالة.
- قناة التواصل سواء كانت شفهية أو كتابية أو إذاعية .

ومنه فإنّ سياق الموقف له دور هام في تحديد معاني ودلالات الألفاظ والنصوص، وهذا يوجب على المتلقي أو الباحث الإلمام بجلّ المعطيات المحيطة بالحدث الكلامي لما لها دور بارز في تحديد دلالة الكلمات مؤكدا على الوظيفة الاجتماعية للغة بدراستها انطلاقا من الظروف الاجتماعية المحيطة بها.

- **السياق الثقافي:**

يحدد السياق الثقافي الدلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم استخداما عاما، ويقصد به :" القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالكلمة، إذ تأخذ ضمنه دلالة معيّنة"[1] والنص في جوهره هو ظاهرة ثقافية، يعد إلى حدّ بعيد العديد من الظواهر الثقافية الخاصة ببيئة اجتماعية معينة" فهو يقتضي تحديد المحيط الثقافي والاجتماعي أو الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة ".[2] ونقصد به دراسة الدوال ضمن تركيبها، ومن خلال القرائن اللغوية تتأسس مرجعية للخطاب، فيضبط المعنى وتتحدد دلالته من خلال تفاعل العلامات مع بعضها البعض.

فهو إذا مجموعة الظروف الثقافية والاجتماعية المحيطة بالكلمة، حيث يصبح للكلمة دلالة معيّنة ضمن هذا النوع من السياقات، ولهذا نبّه علماء اللغة إلى ضرورة وجود مرجعية ثقافية مشتركة عند أهل اللغة الواحدة حتى يتم التواصل والإبلاغ،" وللسياق الثقافي أهمية بالغة في الترجمة إذ تتطلب

[1] – منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص90.

[2] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 72.

مقتضيات الفهم الصحيح والدقة العلمية أن يلمّ المترجم بالسياق الثقافي للنص المترجم لكي ينقل مضمونه إلى اللغة الأخرى بكلمات موازية من حيث الارتباط بالسياق".[1]

- **السياق العاطفي:**

هو ذلك النوع الذي تبرز من خلاله درجة القوة والضعف والانفعال، فهو يحتاج بالضرورة إلى مجموعة من القرائن البيانية التي تؤكد سطحية أو عنف أو شدة هذا الانفعال" فهذا النوع من السياق يختلف عن السياقات الأخرى كونه يرتبط بدرجة قوة الانفعال المصاحبة للأداء الفعلي للكلام من حيث ما يقتضيه الكلام من تأكيد أو مبالغة أو اعتدال "[2] فوحده القادر على توضيح ما إنّ الكلمة موضوعة لأجل التعبير عن معنى موضوعي بحث أو معنى آخر انفعالي عاطفي، وهذا ما يفسر لنا ما كسبته عديد الكلمات المتداولة في الحياة اليومية للفرد، معاني انفعالية غير متوقعة في بعض المواقف.

3.1- عناصر السياق:

يقتضي السياق كغيره من العناصر الأخرى المساهمة في فهم المعنى مجموعة من العناصر المختلفة، وهي العنصر الذاتي، العنصر الموضوعي، العنصر الذواتي.

أ- العنصر الذاتي:

يتعلق هذا العنصر بالمتكلم ومعتقداته وأهدافه واهتماماته ومقاصده، "فهو حين يتكلم يقصد شيئا وكذلك اهتمامات المتكلم ، فقد تكون له أهداف فينبغي أن تدخل هذه الأهداف أيضا في تحديد الظاهرة اللغوية" [3] كما يدخل ضمن هذا العنصر الإيماءات والإشارات التي تحل محل الألفاظ كما قد

[1] – أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق – سوريا، ص 360.

[2] – أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، مبحث صوتي، مبحث تركيبي، دلالي، ص 156.

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت – لبنان– ط1، 2004م، ص 44–45.

يستعين المتلقي بها في فهمه للنصوص بسياقات ذاتية أخرى كحركة المتكلم وعاداته وأخلاقه وأفعاله، "ويعد العنصر الشخصي من أهم عناصر السياق، ويمثله طرفا الخطاب: المرسل والمرسل إليه، وما بينهما من علاقة بالإضافة إلى مكان التلفظ وزمانه(...) وما يحيط بهما من عوامل حياتية، اجتماعية، سياسية، ثقافية" [1] فالعنصر الذاتي إذن مرتبط بالمرسل والمرسل إليه على حد سواء.

- المرسل: هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب، يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معيّنة وبغرض تحقيق هدف فيه، فاللغة باعتبارها ظاهرة طبيعية اجتماعية عاجزة عن ممارسة دورها الإبلاغي إلا عن طريق المرسل الذي يتجسد من خلاله وجودها الفعلي، فيضعها في مستوياتها المتباينة في نسيج متجانس.
- المرسل إليه:

يعد هذا العنصر الطرف الثاني في العملية التواصلية الذي يوجه إليه المرسل أو المتكلم خطابه لغاية معيّنة، " وقد أشار اللغويون القدامى في التراث العربي إلى تأثير المرسل إليه على المرسل عند إنتاج خطاب به"[2]، ويتجلى هذا التأثير مثلا على المستوى النحوي كالتذكير والتأنيث والإفراد والجمع وغيرهما، ذلك أن جنس المخاطب وعدده تحتم على المرسل استعمال وحدات لغوية دون غيرها في خطابه.

- **العناصر المشتركة:**

يتجلى هذا العنصر من خلال العلاقة التبادلية بين طرفي الخطاب: المرسل والمرسل إليه، فلا يقتصر الأمر على دور كل منهما بمعزل عن الآخر،" إذ تغدوا العلاقة بين طرفي الخطاب من أبرز العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد استراتيجيات الخطاب المناسبة"[3] فكانت المعرفة المشتركة هي الأرضية التي يعتمد عليها طرفا الخطاب في إنجاز التواصل وتحقيق تفاعل بينهما.

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 45.

[2] – المرجع نفسه، ص45-47.

[3] – المرجع نفسه، ص48.

ب- العنصر الموضوعي:

وهو مجموعة من الوقائع والأحداث الخارجية التي يتم فيها القول، وقد عرفه" إدريس مقبول" بأنه:" العنصر الموضوعي ويشمل الوقائع الخارجية (الظروف الزمانية والمكانية) "[1].

- **الزمان :**

يلعب هذا العنصر دورا فعالا في إبراز المعاني والدلالات فكلمة صباح الخير إذا قيلت وقت المساء ذلك أن القائل يقصد بها معنى مخالف لمعنى التحية، لانّ معناها الأصلي متعلق بوقت الصباح ومن الأمثلة الأخرى التي توضح هذا العنصر عبارة " عيد ميلاد سعيد " فحتى تكون معبرة عن دلالتها الصحيحة يجب أن تكون موافقة للزمن الذي تقال فيه،" وحتى يكون المتكلم قادرا على استخدامها استخداما صحيحا يجب أن يعرف بالإضافة إلى بعض العوامل الأخرى ما تعنيه هذه التحية كما يجب أن يكون الوقت مناسبا حقا لها.[2]

- **المكان:**

يعد المكان عنصرا هاما لمعرفة دلالة الكلمات كون المكان كفيلا بتغيير معاني الكلمات ودلالتها،" فالبلاد العربية بالرغم من أنها تتكلم لغة واحدة إلا أنها تختلف في كثير من معاني المفردات مثل لفظ الجامعة في تونس تعني الرابطة أو النقابة، ومحاسب في العراق نظير معاون الكلية في مصر".[3]

---

[1] – إدريس مقبول، الأسس الابستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، دار الكتب الحديث، الاردن، ط1، 2006م، ص305.

[2] – عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة نحوية دلالية، ص88.

[3] – المرجع نفسه، ص87.

ج- العنصر الذواتي:

" يتمثل في المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، أو ما يسمى بالأرضية المشتركة وهي معرفة مقعدة التركيب "[1] فعلاقة المتكلم بالسامع تفرض عليه نمطا محددا من الخطاب بحديث التلميذ مع أستاذ الذي يختلف عن حديث مع زميله .

كما يتميّز السياق بمجموعة من الخصائص يمكن إجمالها في النقاط التالية :[2]

- المرسل: هو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.
- المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.
- الحضور: وهم أشخاص مستمعون حاضرون يساهم حضورهم في تمحيص الحدث الكلامي.
- الموضوع: محور الحديث أو الفعل الكلامي.
- المقام: وهو زمان ومكان الحدث التواصلي، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتغيرات الوجه.
- القناة: كيف يتم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي، تكون كلاما أو كتابة أو إشارة.
- النظام: نظام اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.
- شكل الرسالة: حوار، جدل، موعظة.
- المفتاح: ويتضمن تقويم الرسالة إذا كانت موعظة حسنة أو شرحا مثيرا للعواطف.
- الغرض: أي ما يقصد به المشاركون وهو يكون نتيجة للحدث التواصلي.

[1] – إدريس مقبول، الأسس الابستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص 305.

[2] – محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب – ط2،2006م، ص 53.

2- الدلالة.

1.2- مفهوم الدلالة:

حظيت الدلالة باهتمام كثير الباحثين واهتموا بإبرازها، كونها كانت من العلوم التي تهدف أساسا إلى فهم القرآن الكريم وبيان معاني الآيات القرآنية وإظهار وجوه إعجاز القرآن الكريم.

أ- لغة:

يشير الاستعمال اللغوي لهذا اللفظ كما أوردته المعاجم اللغوية العربية المتعددة، على أن الدلالة مصدر للفعل الثلاثي(د،ل،ل) ، يقول أحمد بن فارس(ت395هـ) في مادة(د ل ل) :" الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء.[1]

ويرى الزمخشري (ت 538هـ) أن مادة (د،ل،ل) تشير إلى الاهتداء، يقول: "دلّه على الطريق وهو دليل المفازة، وهم أدلّاؤها، وأدللت الطريق: اهتديت إليه".[2]

ويقول ابن منظور(ت711هـ):" والدلالة من: (دلّ، يدلّ) فلان إذا هدى، وفلان يدلّ على أقرانه كالبازي يدل على صيده. وهو يدل بفلان أي يثق به. ودلّه على شيء يدله دلا ودلالة فاندلّ: سدّده إليه ، والدليل: ما يستدل به، والدليل: الدّال."[3].

يمكن استخلاص أن مادة (د، ل، ل) لها عدة معانٍ ومنها: المعنى الأساسي وهو الإبانة والهداية والإرشاد، وهو ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعاني، كما تعني المخالفة وتعني أيضا عدم الوضوح كما في قولهم: تدلدلوا بين أمرين فلم يستقسموا. ونستشف من نشأة الدلالة في التراث العربي بأنها بدأت بالأشياء المحسوسة ثم تطورت إلى الدلالات المجردة بتطور العقل الانساني ورقيّه.[4]

---

[1] – ابن فارس، مقاييس اللغة، 02/ 259، مادة (د، ل، ل).

[2] – الزمخشري، أساس البلاغة، ص193، مادة (د، ل، ل).

[3] – ابن منظور، لسان العرب، 05 / 291 –292، مادة (د، ل، ل).

[4] – ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأجلو المصرية، ط6، 1991م، ص124.

ب- اصطلاحا:

من أجل تحقيق العملية التواصلية يتخذ الإنسان وسائل مختلفة للإخبار عن التصورات والمفاهيم والأغراض والمقاصد القائمة في ذهنه، ولا يتأتى ذلك إلا باقتران الدال بالمدلول لإنتاج الدلالة.

في مفهومها العام كما عرفها الشريف الجرجاني(ت816هـ) بقوله :"الدلالة هي كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والشيء الثاني هو المدلول."[1]

يعرف هذا العلم بأنه " علم عام يتناول اللغات جميعا وليس لغة فقط، فالأمثلة قد تكون بلغة ما دون سواها، لكن النظرية ذاتها تتطبق على اللغات جميعا"[2]

فعلم الدلالة هو العلم الذي يعنى بدراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى"[3] فهو العلم الذي يُعنى بدراسة معاني الوحدات اللغوية, سواء كانت هذه الوحدات كلمات أو جمل أو ملفوظات وغيرها.

2. 2- أقسام الدلالة:

من بين المباحث الدلالية التي أثارها الدرس الدّلالي قدمه وحديثه مبحث أقسام الدلالة، وقد اختلف الدارسون في تقسيمهم لها وذلك تبعا لاختلاف العناصر المشاركة في تكوين المعنى، وعلى هذا الأساس ميّز اللغويون بين معانٍ كثيرة أهمها المعنى الأساسي أو التصوري والمعنى الإضافي أو الثانوي، المعنى الأسلوبي، النفسي والإيحائي.

و" تقسيم علم الدلالة يخضع لمبدأ عام ملخصه أن القيمة الدلالية للوحدة المعجمية لا يمكن اعتبارها دلالة قارة وإنما يخضع تحديد تلك القيمة لمجموع استعمالات هذه الصيغة في السياقات المختلفة "[4]

[1] - علي بن محمد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص 34.

[2] – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ص7.

[3] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص5.

[4] – منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص68.

وعليه يمكن أن نجمل أقسامها في ما يلي :

- **الدلالة الصوتية:**

تعد الأصوات اللبنات التي تشكل اللغة والمادة الخام في تركيب الكلمات والعبارات، فالصوت يؤثر في دلالة الكلمة والسياق هو الذي يحمل الصوت هذا المعنى، ليكسبه دلالة سياقية، وكل قارئ أو سامع له رؤية خاصة في استنطاق دلالات ذلك الصوت.

ويعد الصوت أحد لمستويات التي تسهم في دراسة اللغة، حيث يؤكد "عبد الغفار هلال" ذلك بقوله:" فالصوت يرتبط بالمعنى وطريقة الأداء لها دخل في التعبير عنه، وهذا وإن كان خاصا ببعض الألفاظ وطرق أدائها فإن له أهمية في كشف جانب حيوي من جوانب دلالة الألفاظ".[1]

و نقصد به تلك الدلالات التي تستمد من القيمة التعبيرية، والفضل في مثل هذا النوع من الدلالة راجع إلى إيثار صوت على آخر أو مجموعة من الأصوات على الأخرى، " ومن مظاهرها (ظاهرة النبر) فقد تتغيّر الدلالة باختلاف موقعه من الكلمة، كما تتجلّى هذه الدلالة أيضا من خلال ما نسميه ب" النغمة الكلامية" حيث يلعب دورا هاما في عديد اللغات، ففي الصينية مثلا قد تحتمل الكلمة الواحدة دلالات عديدة لا يفرق بينها إلا اختلاف النغمة في النطق"[2] وقد أولى ابن جنّي هذه الدلالة الصوتية أهمية بالغة فأفرد له بابا في كتابه " الخصائص" وضرب فيها عديد الأمثلة، أبرزها (قضم، خضم) فالقضم يستخدم لليابس والخضم لأكل الرطب، ومرد هذا التمييز هو اختلاف الحروف من حيث مخارجها، فأخذوا القاف لصلابتها في (قضم) والخاء لرخاوتها في (خضم)[3] .

[1] – عبد الغفار حامد هلال، علم الدلالة اللغوي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2013م، ص 28.

[2] – أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر التوزيع، بيروت – لبنان – ط1، 1993م، ص47.

[3] – ينظر: ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح، 46/1.

- **الدلالة الصرفية:**

إن التغيرات التي تحدث في بنية الكلمة تقتضي تغيرا في المعنى، إذ كل زيادة في المبنى ترافقها زيادة في المعنى، ويعنى السياق الصرفي بهذا الأمر حيث يدرس السوابق واللواحق والزوائد، هذا النوع من الدلالة يستمد من الصيغ وأبنيتها، وقد أشار "إبراهيم أنيس" لهذا النوع من الدّلالة في قوله:" لا تصدقه فإنه كذّاب" فاستعمال كلمة "كذّاب" يمد السامع بقدر من الدلالة لم يكن ليصل إليها لو أنّ المتكلم استعمل" كاذب"[1] وكلمة كذّاب أقوى في الدلالة من كاذب، وذلك من خلال تشديد عين الكلمة.

- **الدّلالة النحوية:**

كثيرا ما يقابل هذا المصطلح ب" علم الدلالة التركيبي" وهي النسب أو العلاقات القائمة بين مواقع الكلمات في الجمل، أي هي الدلالة المستمدة من ارتباط الكلام بعضه ببعض بواسطة التركيب الذي تخضع له أي لغة، " فنظام الجملة العربية مثلا أو هندستها يحتم ترتيبا خاصا، لو اختل أصبح من العسير فهم المراد منها"[2] فتدرس البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية في كل نسق، ذلك أن أنماط التركيب النحوي تؤثر تأثيرا بليغا في أداء المعنى إذ تتحكم القواعد في نظم الكلمات والعبارات من لغة لأخرى.

- **الدلالة السياقية:**

اللغة ظاهرة اجتماعية والفرد ضمن المجتمع يحدد دلالات ألفاظه من خلال استعماله للغة والمقام الذي يتواجد فيه، فـالسياق يحدد دلالة الكلمة على وجه الدقة داخل نص ما، بحيث تتجاوز كلمات اللغة حدودها الدلالية المعجمية المألوفة لتفرز دلالات جديدة.

[1] – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص47.

[2] – المرجع نفسه، ص48.

" والدلالة الاجتماعية أو السياقية هي التي يقصدها المتكلم ويفهمها السامع من خلال الحدث الكلامي تبعا للظروف المحيطة به"[1] لتكون بذلك حلقة وصل بين اللفظ والدلالة بناء على ما تعارف عليه الناس في استعمالهم، ذلك أن اللغة ظاهرة اجتماعية والإنسان أو الفرد داخل المجتمع مسؤول عند تحديد دلالة ألفاظه أثناء استعماله لمفردات اللغة وذلك تبعا للمقام الذي تقال فيه، وقد اهتم علماء العربية بالدلالة السياقية منذ نزول القرآن الكريم وذلك بربطهم معاني الآيات بأسباب النزول، كما أنّ كلامهم عن الحقيقة والمجاز والخصوص والعموم دليل على إدراكهم إدراكا واعيا لدلالة السياق.

3- السياق والدلالة.

3. 1- أهمية السياق.

يعدّ السياق في الدراسات اللغوية الحديثة من أهم القضايا التي ترتبط بعلم الدلالة وذلك بالنظر للدور الفعّال الذي يؤديه في الكشف عن دلالة النصوص وتحديد معانيها، ذلك أن الكلمة لا تكتسب قيمتها إلا من خلال علاقاتها بما هو سابق ولاحق لكليهما معا،" فالسياق بكل عناصره ركيزة هامة في الكشف عن الدلالة ورفع اللبس أو الغموض، فالمعنى المعجمي لكثير من المفردات اللغوية معنى عام متعدّد لا يحدّده إلا السياق الذي ترد فيه الكلمة حتى تظهر علاقاتها بالكلمات السابقة واللاحقة لها بالإضافة إلى المقام الذي يكمل المعنى الدلالي"[2] وقد ضرب " عبد النعيم خليل" في كلمة(جلل) التي تعني (العظيم) فهذا هو المفهوم العام لها، غير أنها تختلف في قول الشاعر:

كل شيء ما خلا الموت جلل والفتى يسعى ويلهيه الأمل

في هذا التركيب النحوي تعني اليسير، فما تقدّم عنها وتأخر دلّ على معناها، فمفاد الكلام كل شيء ما خلا الموت يسير.

[1] – أحمد النعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، ص100.

[2] – عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة نحوية دلالية، ص10.

" وتعد دراسة السياق محل اهتمام القضايا التداولية جميعا ذلك أنّ أي تحليل للجمل يخضع له وكذلك تحليل أفعال الكلام وقوانين الخطاب ومسائل الملفوظية والقضايا الحجاجية وغيرها"[1]، فهو مرتبط بمستعمل اللغة والحدث والنظام اللغوي المستخدم والأنظمة الاجتماعية والعادات وغيرها من العناصر المساهمة في تحديد دلالة المنطوق.

ومن الوظائف الدلالية التي يؤديها السياق وظيفة إثبات ووظيفة نفي، فالأول يؤكد فيه معنى معيّن للكلمة يتحدّد تبعا للسياق الواردة فيه، والثانية ينفي فيها نفيا ضمنيا المعاني الأخرى التي يمكن أن تحتملها الكلمة" فتسييق الصيغة اللغوية يعدّ منفذا مهما في تحديد مجالها الدلالي إذ لا يمكن أن ترد الصيغة اللغوية بمعزل عن السياق الاجتماعي والثقافي وغيره"[2] ومن خلاله يتم تحديد دلالة الكلمة وصرف الغموض عنها وضبطها وتوجيهها، كما أن للسياق وظائف عديدة في كل مستويات التحليل اللغوي، وظائف صوتية، صرفية، نحوية، تساهم في تحديد وحصر دلالة الكلمات.

نلخص القول أن للسياق أهمية بالغة في تحديد الدلالة المقصودة للكلمة داخل تركيب معين، فهو الذي يصرف عنها الغموض والإبهام ويمكن إبراز هذه الأهمية في النقاط التالية:[3]

- السياق مسألة ضرورية وحاسمة في مجال اللغة حيث يسمح لنا بالحديث عن الأشياء بدقة ووضوح، وذلك من خلال دراسة العلاقات الموجودة في السلوك الاجتماعي والكلامي.
- السياق بكل عناصره ركيزة هامة في الكشف عن الدلالة ورفع اللبس أو الغموض، فالمعنى المعجمي لكثير من المفردات اللغوية معنى عام ومتعدّد لا يحدده إلا السياق الذي ترد فيه؛ حيث تظهر علاقتها بالكلمات السابقة واللاحقة لها بالإضافة إلى المقام الذي يكمل المعنى الدلالي.

---

[1] – خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة – الجزائر – ط1، 2009م، ص 114.

[2] – منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص95.

[3] – عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 10–11.

- للسياق أهمية كبيرة في تحديد المعنى الدلالي للكلمات المترادفة فإذا كان الترادف عند علماء اللغة ينقسم إلى : الترادف المطل، شبه الترادف، فالنوع الأول يخضع للبيئة التي تستخدم فيها الكلمة وهي جزء من السياق الاجتماعي والثاني يرتبط بكل من المتكلم والسامع وهما من عناصر المقام، لذا فإنّ الذي يبحث في هذه القضية(الترادف) يحتاج أن يأخذ نظرية السياق بعين الاعتبار.
- إنّ للسياق حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدها المتكلم.

وقد تنبّه المحدثون إلى تلك الوظائف التي يؤديها السياق في مختلف الجوانب اللغوية (صوتية، صرفية، نحوية، معجمية)، فأقروا بأنّ معرفة هذه الجوانب تقتضي معرفة أجزاء وجوانب المعنى وذلك انطلاقا من السياق، فمثلا الوظيفة المعجمية للسياق ترجع في الأصل لكون عديد العناصر اللغوية ترتبط بدلالتها عن طريق علاقة عرفية اصطلاحية أي من تواضع المجتمع، ولهذا دراسة هذا النوع من الكلمات قائم لحد يعبر على دراسة تلك السياقات المتعدّدة التي ترد فيها الكلمة والتي تمثل في الأصل مجموعة عادات وتقاليد وثقافة ذلك المجتمع، " وبناء على ذلك فإنّ الدلالة المعجمية لهذه الكلمات تتطلب أن يجمع المعجمي عددا من السياقات التي تستخدم فيها الكلمة داخل المجتمع ليصل إلى المعنى المقصود"[1]، فدراسة معاني الكلمات المفردة وهي معزولة عن كل سياقاتها الاجتماعية لا يعطينا سوى المعنى الحرفي وهو معنى بعيد عن محتواه الخارجي ومعزول عن كل ما يحيط بالكلمة من قرائن غير لغوية " فالكلمات في المعجم ذات أبعاد دلالية متعددة تجعلها صالحة في المدلول في أكثر من سياق ومن ثبوت ذلك لها يأتي بالضرورة تعدد معناها"[2] ووظيفة السياق على المستوى المعجمي هي وظيفة تمييزية حيث يحدد معاني المفردات التي تندرج تحت مسمى المشترك اللفظي من جهة وتحديد معاني الكلمات المترادفة من جهة أخرى.

[1] – عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص12.

[2] – حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية– مصر – (د.ط) 1996م، ص 125.

أما على المستوى النحوي أو التركيبي فللسياق دورٌ فعالٌ في إبرازه، وخاصة السياق الاجتماعي أو ما يعرف بسياق الحال،" فإذا جئنا إلى ظاهرة الإعراب فإننا نرى أن للسياق الاجتماعي أثر في توجيه الإعراب، حيث راعى كثير من المعربون النحاة سياق الحال في أثناء تعرضهم لإعراب كثير من الآيات القرآنية"[1]، كما يبرز اهتمام النحويين بالسياق في تأويلهم وفهمهم لعديد الظواهر النحوية من خلال دراستهم لظاهرتي التقديم والتأخير ذلك أن" التقديم والتأخير بين ركني أي نمط مرهون بالأغراض والأحوال التي تخص المخاطب والسياق الكلامي الذي يرد فيه التركيب في صورته العادية أو غير العادية"[2] .

فاللغة إذن تتحرك في فلك كلامي ديناميكي تحكمها قيود السياق الواردة فيه، مما يدي إلى توليد فكرة الطبيعة الاجتماعية لها.

3. 2- السياق ومستويات التحليل اللغوي.

- **السياق والمستوى الصوتي:**

لقد كان العرب من الشعوب السبّاقة لدراسة علم الأصوات والاهتمام به منذ بداية تدوين اللغة العربية في القرن2هـ، فحاولوا التأصيل لهذه النظرية وإقامة معالمها لكنهم لم يعرفوا علم الأصوات بمسماه الحديث إلا في مرحلة متأخرة من الزمن،" فقد كان جهود علماء اللغة العربية في علم الأصوات بداية مع " الخليل بن أحمد الفراهيدي" في كتابه " العين " الذي يُعدّ أول دراسة صوتية في علم الأصوات العربية، وأيضا وضعه لعلم العروض الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بعلم الأصوات"[3]، وتنبه الدارسون إلى الدور الفعال الذي تلعبه الظواهر الصوتية في إبراز الدلالة وذلك من خلال ما اصطلح عليه المحدثون" السياق الصوتي" وهو" النظم اللفظ للصوت في إطار الاصوات الأخرى على مستوى

[1] – عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 133.

2 – صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون – الجزائر– 1994م، ص 176.

3 – صادق يوسف الدباس، دراسات في علم اللغة الحديث، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان– ط1، 2012م، ص10.

الكلمة أو الجملة"[1] فالصوت اللغوي(فونيم) في سياقه يختلف من حيث صفاته وخصائصه عن حالته المجردة وذلك نتيجة تأثره بالصوت السابق واللاحق له فليس للصوت اللغوي المجرد معنى دلالي في نفسه وإنما يكتسبه من خلال مجاورته لأصوات أخرى فمثلا قولنا(نال ومال) فحرف النون له سمة تمييزية حيث أسهم في جعل معنى الكلمة الأولى مغاير للكلمة الثانية "ففكرة الفونيم وسيلة لتصنيف الأصوات في مستواها السياقي وأي تغيير في فونيمات الكلمة يؤدي إلى حدوث تغير معجمي لمعنى الكلمة خارج السياق كما في (صعد وسعد) أما في دال السياق يتبعه تغير وظيفي ودلالي في الجملة"[2] كما تبرز العلاقة بين السياق والمستوى الصوتي من خلال ظاهرتي النبر والتنغيم.

أ- النبر:

النبر في مفهومه العام هو إعطاء مقطع من مقاطع في متتالية كلامية ضغطا أكبر ممّا يجعل المقطع المنبور أكثر وضوحا، يقول "تمام حسان": " النبر ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها"[3] وهو وفق هذا التعريف وضوح سمعي يبرز تبعا للسياق الوارد فيه لذلك عُد النبر نوعا من أنواع السياق الصوتي، وهو ما أكد عليه" عبد النعيم خليل" حيث ذكر مجموعة من الأسباب التي دفعته للقول أن النبر قرينة من القرائن السياقية الصوتية المساهمة في فهم دلالة التراكيب النحوية ويمكن القول أن تحمل تلك الأسباب ما يلي:[4]

- يتصل النبر اتصالا وثيقا بالنطق الصوتي للكلمة فكلّها أو جلّها تربط بين النبر والمقطع الذي بعد جزء من الكلمة في أبسط أشكاله وصوره، وهو عبارة عن تتابع الفونيمات في لغة ما لأن البنية المقطعية تختلف من لغة إلى أخرى.

1 – عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص38.

2 – عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، انجلترا، ط1، 2007م، ص54.

3 – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994م، ص170.

4 – ينظر: عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص46-47.

- إنّ الفونيمات تختلف في طبيعتها من حيث المخرج والصفة النطقية والسمعية، فإذا رُكبت معا في تجمعات صوتية فإنها تكون سياقا صوتيا خاصا، إضافة إلى النبر الذي تختلف درجاته على مستوى الكلمة: النبر القوي والمتوسط، والضعيف.
- أنّ النبر يلعب دورا هاما في تحديد المعنى اللغوي كونه ظاهرة تشارك في كل اللغات.

ب- **التنغيم :**

التنغيم عبارة عن تنويعات صوتية تكسب الكلمات نغمات موسيقية متعددة، ومما عرف به أنه:" الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق"[1]

النغم والتنغيم كلمتان مترادفتان في الدراسات الصوتية وتعني إعطاء مقطع من مقاطع متتالية مزيدا من الضغط وهذا ما يجعله أكثر وضوح بالنسبة للمقاطع الأخرى، يعرفه "بسام برحي" :" النغم تغيّر يرتبط بتذبذب الوترين الصوتيين (...) فهو يرتبط من المنظار الفيزيولوجي بنُظم النفس الخارج من الرئتين"[2] فهو إذن مجموعة من التغيرات التي تحدث على الصوت اللغوي عند النطق به من هبوط إلى صعود ومن صعود إلى هبوط، وهذا التباين في الكلام من النغمة الصاعدة إلى الهابطة أو العكس يحكمه السياق التي تقال فيه الكلمة التي ترتبط بمشاعر المتكلم (فرح، غضب، نفي، استغراب) " فهو بذلك يميز في الجملة الواحدة، ودون أي تغير في مكوناتها الفونيمية المرجعية بين الصيغة الإخبارية مثلا والصيغة الاستفهامية أو التعجبية أو الأمرية".[3]

فتحديد الدلالة إذن قائم على التنغيم الذي في أصله مرتبط بالسياق أو الموقف المزامن لفعل الكلام، فهو من القرائن المقالية الصوتية المساهمة في التحديد الدلالي للنص، كما أنه يؤدي دورا هاما في توجيه الإعراب باعتباره من القرائن السياقية التي استعان بها النحاة في التفريق بين المعاني المختلفة.

[1] – ابن جني، الخصائص، ج3، ص123.

[2] – بسام بركة، علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، مكتبة لسان العرب، لبنان، د.ط، ص100.

[3] – المرجع نفسه، ص 100.

- **السياق والمستوى الصرفي:**

تنبه الدارسون من القدم إلى تلك القيمة الدلالية التي تؤديها المورفيمات ضمن سياق معين، ويعدّ المورفيم أساس التحليل الصرفي، وقد اختلف الدارسون في تحديد مفهومه ولعل أقرب تعريف له أنه" الوحدة الصرفية الدنيا الدالة على معنى بحيث أنّ تغيرها بتغير المعنى"[1] فكل عنصر لغوي يساهم في إبراز معاني العبارات الصرفية والتحويلية، وذلك من خلال علاقتها بالعرف الاجتماعي، فالسياق الوارد فيه هو الذي يفسر تلك المعاني المختلفة التي يحتملها اللفظ الواحد، منها قوله تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭽ [الروم: 55] فالآية الكريمة تبيّن أن كلمة (ساعة) نفسها لم تتغير من حيث حروفها وترتيبها لكنها من حيث الدلالة مختلفة، وهذا الاختلاف النطقي للمورفيمات ليس وحده الكفيل بتغير الدلالة، فحتى السياق له أثر بالغ في ذلك " حيث تنقسم الوحدات الصرفية من حيث ورودها في السياق إلى قسمين : وحدات حرة ووحدات مقيدة، ومثال الأولى في العربية الضمائر المنفصلة، ومثال الثانية الضمائر المتصلة"[2] .

ومنه فالفرق بين الوحدات الصرفية الحرة تكون مستقلة أي منفصلة على عكس الوحدات الصرفية المقيدة لا تكون إلا مرتبطة أي متصلة، ومثال ذلك كلمة " ساهر، ساهرون " تقسم إلى مورفيم حر " ساهر" ومورفيم متصل " ساهرون " أما عندما يتعلق الأمر بتنوع المعنى الذي تدل عليه الوحدة الصرفية نجد أن المورفيمات انقسمت إلى الأقسام التالية: [3]

- وحدات صرفية معجمية : تشكل جذور الكلمات وتدل على المعاني الوظيفية للمورفيمات الحرة.
- وحدات صرفية حرة: وهي علامات الإعراب في اللغة العربية.

[1] – سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال الوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2005م، ص109.

[2] – أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص196.

[3] – ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، ص136.

- وحدات صرفية اشتقاقية: تدل على المعاني الزائدة على المعنى الأصلي للكلمة كمعنى اسم الفاعل أو معنى المضارعة في اللغة العربية.

من خلال هذه التقسيمات للوحدات الصرفية سواء أكانت وحدات صرفية حرة أم وحدات مقيدة أو معجمية أو وحدات اشتقاقية، إلا أنه يمكن للكلمة أن تحمل دلالات صرفية حرة ومقيدة في الوقت نفسه.

- **السياق والمستوى النحوي:**

كان للنحويين العرب اسهامات كثيرة في الدرس الدلالي، حيث اشتملت مباحثهم النحوية على عديد القضايا الدلالية عامة والسياقية خاصة، حيث شهد مفهوم النحو بذلك تطورا إذ أصبح أكثر شمولية، فبعدما كان في بدايته يُعنى بدراسة أواخر الكلمات من حيث الرفع والنصب والجر وعلاماتها، صار " جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر شخصية المتكلم وتكوينهم الثقافي(...) والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك لمن يشارك في الموقف الكلامي".[1]

و" تنشأ الدلالة النحوية عن تظافر العلاقات بين الوحدات اللسانية ضمن شبكة من العلاقات ممثلة في علاقة الإسناد والتخصيص والإضافة إذ تتفاعل هذه الوحدات بما يسمح للمتكلم بالتعبير عن أغراضه ومقاصده، إذ يتوسل المتكلم إلى أغراضه بأنماط تركيبية تناسب المقام وتخدم الغرض، كأن يقدم أو يؤخر أو يحذف أو يذكر أو يقيد أو يطلق أو يخصص أو يعمم وهكذا في كل مقام، ومن هنا نلفي أن الدلالة النحوية تأخذ مركزا هاما في التخاطب"[2]

ومن الظواهر النحوية ذات الصلة الوثيقة بالسياق ما يلي:

[1] – ينظر: عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 133.

[2] – عبد القادر بن زيان، فاعلية السياق في توجيه الدلالة– دراسة في المستويات اللسانية في الخطاب القرآني– مجلة أنثربوبوجية الأديان، المجلد16، العدد01، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2020 م، ص394.

❖ الإعراب:

للسياق دور فعّال في توجيه الإعراب، ففهم الرسالة التواصلية فهما صحيحا يقتضي على المتكلم والسامع (طرفا العملية التواصلية)أن يلقيا كلامهما تبعا لمعطيات النحو، وقديما حين قرأ القارئ چڤ ڤ ڤ ق ق ڤ ڤ چ چ چ چ ڇ ڇ چ [التوبة: 3] فمنهم من قرأ (رسوله) بالجر على أنها معطوفة على المشركين، فأدى إلى دلالة مرفوضة دينيا، "فالفعل الكلامي يعبر عنه بالجملة فقط، ولكن يجر عنه في سياق معين وفق المعادلة التالية: قول+ سياق = رسالة، ولمعرفة الرسالة لا يجب فقط معرفة اللغة بل يجب كذلك معرفة السياق"[1].

إنّ اللغة العربية لها نظامها الذي يحكمها ويقرر ضرورة مجاورة تلك اللفظة للأخرى، من ذلك مجاورة الفعل مع الفاعل والمفعول والصفة مع الموصوف، وغيرها من العلاقات النحوية،" فعندما يعمد المبدع إلى تكوين جملة لغوية يقوم بعملين متكاملين، في الأول يختار مفردات من مخزونه اللغوي، وفي الثاني يجري عملية تنظيم لما تم اختياره ويتلاءم هذا الاختيار مع السياق الذي يدور فيه الكلام"[2].

وعليه فالإعراب من الظواهر اللغوية التي اهتم بها الدارسون وحلّلوها اعتمادا على مجموعة من القرائن السياقية، وهي باب واسع في العربية يبرز مدى التداخل الكبير في المستوى النحوي السياقي بمختلف أشكاله المقالية والحالية.

❖ **التقديم والتأخير:**

إنّ الجملة في اللغة العربية تنقسم إلى قسمين: جملة اسمية وأخرى فعلية، ومما لاحظه الدارسون النحويون أن مكونات الجمل في العربية قد يمسها التغيير تقديما وتأخيرا حسب ما يقتضيه السياق الكلامي ويسمح به وأن أي تغير في التركيب النحوي يصاحبه بالضرورة تغير دلالي،" وإن التقديم

[1] – عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2012م، ص101.

[2] – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت – لبنان– ط1، 1994م، ص205.

والتأخير بين ركني أي نمط مرهون بالأغراض والأحوال التي تخص المخاطب والسياق الكلامي الذي يرد فيه التركيب في صورته العادية أو غير العادية"[1] وأورد صالح بلعيد نموذجين للتوضيح:

- ما ضرب زيدا إلا عمرو.
- ما ضرب عمرو إلا زيدا.

ففي المثال الأول أراد أن يبين أن الضارب(عمرو) وفي المثال الثاني بيّن أن المضروب (زيدا) فالتقديم والتأخير الذي حدث بين كلمة (زيدا) و(عمرو) إنما جاء عن قصد المتكلم وهذا القصد خاضع للسياق.

❖ **الحذف والذكر:**

كثيرا ما تتعرض التراكيب في اللغة العربية لحذف بعض عناصرها، وهذا خاصة إذا كان السياق خادما للجملة التي يرد فيها" من منطلق أن النظام اللغوي يقتضي في الأصل ذكر هذه الأطراف، ولكن التطبيق العملي من خلال الكلام فقط قد يسقط أحدهما اعتمادا على دلالة القرائن المقالية والحالية"[2] وهناك نماذج في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﭼ [يوسف:82] فلولا وجود سياق قرآني يؤكد على أنّ هذا الكلام تنزيل من رب العالمين لما أمكننا القطع بأن التركيب فيه حذف، فالسياق يؤكد على وجود كلمة محذوفة وهي(أهل) فالقرائن السياقية لعبت دورا بارزا في تحليل التراكيب والجمل وتوضح ما حذف من أركانها .

السياق النحوي إذًا لعب دورا مهما في توجيه الإعراب وبيان عناصر الجملة وتميزها والحكم على الكلمة بالرفع أو الجر أو النصب أو الجزم وغيرها، وهو حكم لا يأتي إلا من خلال معرفة السياقات الواردة أضافة إلى معرفة دلالتها المعجمية الإفرادية" ولئن كان للسياق هذا الدور التحديدي والمصيري للكائن المعنوي، فقد صار من اللازم الوجوبي في عمليات التفسير ضبطه وإدراكه مقاميا وكلاميا،

[1] – صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص176.

[2] – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص313.

وذلك بتحديد ملابساته وأطرافه ومفرداته من السوابق واللواحق التي تكون في جملتها سناد المعنى وجسمه وروحه"[1].

[1] – إدريس مقبول، الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب والحديث، الأردن، ط1، 2011م، ص55.

الفصل الثاني:

أثر السياق في إنتاج الدلالة

- مختارات من شعر حسان بن ثابت-

تمهيد:

تعتبر اللغة أهم وسيلة يعبر بها الإنسان عما بداخله وفكره، ويترجم بها شعوره وما يصادفه في واقعه، وذلك باستخدام كلمات وجمل تحمل معاني تختلف باختلاف اللغات والثقافات.

فاللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لعلاقات متعددة كعلاقة المتكلم بالمستمع، وطبيعة موضوع الكلام، ولما كانت الظواهر اللغوية خاضعة واعتبارات لغوية وغير لغوية، كان لزاما مراعاة الدلالات المتولدة منها وكذلك الظروف المحيطة بالحدث اللغوي.

ويعمل السياق على تحديد دلالة الكلمة على وجه الدقة داخل النص, بحيث تتجاوز الكلمات حدودها المعجمية المألوفة إلى إظهار ترابط دلالي جديد, يعكس بصورة واضحة مفهوم الدلالة السياقية التي ترصد حركات الألفاظ والدلالات في أزمنة ومجالات مختلفة، تُكسب الكلمة أبعادا جديدة، تتناثر جماليات السياق حينها .

1: أثر السياق على مستوى البنية المعجمية.

قال محمود عياد:" النص الأدبي نص لغوي، لا يمكن سبر أغواره دون تحليل العلاقات اللغوية التي ينطوي عليها، ذلك لأن هذا التحليل هو الذي يقودنا إلى تفهم الشحنة الدلالية والعاطفية الكامنة في النص والتي تؤثر في المتلقين"[1].

1-1: السياق في المستوى الصوتي.

يعتمد المستوى الصوتي على البنية الإيقاعية للقصيدة لأنها تنتج عن إيقاعات صوتية تمثل نفسية صاحبها، فالشعراء يلجون إلى صورة الشعر من أوزان وقواف، ويرون فيها الخاصية الواضحة التي لا غموض فيها ولا إبهام، ويلجؤون آخر الأمر إلى موسيقى الشعر فيرونها تزيد من الجذب وتضفي على الكلمات رونقا جماليا، وتجعلنا نحس بمعانيه ونستشعر غاياته.

والمستوى الصوتي يتمثل في مستويين للصوت، يتمثلان في المستوى الصوتي الداخلي والمستوى الصوتي الخارجي.

أ- المستوى الصوتي الداخلي:

ويقصد بها: الوحدة النغمية التي تكررت على نحو محدد في الكلام أو في بيت الشعر، أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقرات الكلام أو في أبيات القصيدة.[2]

نلحظ له وجودا بارزا لدى شعر حسان بن ثابت من خلال ظاهرة التكرار واستعمال الحروف المجهورة والملموسة.

[1] – عياد محمود، الأسلوبية الحديثة – محاولة تعريف– مجلة فصول، مجلد51، العدد2، 1981م، ص124.

[2] – رمضان الصباغ، نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء للنشر، الاسكندرية، ط1، 2002م، ص171.

- التكرار:

يعد التكرار ظاهرة لغوية أسلوبية وظفها العديد من الشعراء في قصائدهم، وهو وسيلة من الوسائل الدلالية الإيقاعية والإيحائية، فله خفة وجمال لا يخفيان ولا يغفل أثرهما في النفس، حيث أن له لمسات عاطفية وجدانية يفرغها بشكل يلفت نظر القارئ مما يجعل حاسة التأمل والتأويل لديه ذات فاعلية عالية .

وقد كان له حضور مكثف لدى الشاعر مثل : تكرار الحرف، الكلمة، الجملة، قال حسان بن ثابت في قصيدته " خلقت كما تشاء ":[1]

وَأَحسَنُ مِنكَ لَم تَرَ قَطُّ عَيني وَأَجمَلُ مِنكَ لَم تَلِدِ النِساءُ

خُلِقتَ مُبَرَّأً مِن كُـــلِّ عَيبٍ كَأَنَّكَ قَد خُلِقتَ كَما تَشاءُ

وقال في قصيدته " أتانا بعد يأس"[2]:

نَبيٌّ أتَانَا بَـــــعْدَ يَأسٍ وَفَتْرَةٍ منَ الرسلِ، والأوثانِ في الأرضِ تعبدُ
فَأمْسَى سِرَاجاً مُسْتَنيراً وَهَادِياً يَلُوحُ كــما لاحَ الصّـــــقِيلُ المُـــهَنَّدُ
وأنـــــــذرنا ناراً، وبشرَ جنةً وعلـــــمنا الإســـلامَ، فاللهَ نـــحمدُ

إن تكرار حرف الراء أحدث جرسا موسيقيا وأبرز معاني القوة والهيبة، وهو من الحروف المجهورة المكررة التي تترك عند نطقها اهتزازا في النطق يدل على الاضطراب والحماس المناسب للتعبير عن حبه – صلى الله عليه وسلم– والفخر به والدفاع عنه، فبيئة الدعوة الإسلامية ودفاعه الشديد عن النبي –صلى الله عليه وسلم – أحدث أثرا في شعره، واختاره لتتميز به قصيدته من حيث غلبة تكراره، فصار مكونا ايقاعيا صوتيا ودلاليا يناسب موضوع القصيدة وما فيها من معان، فجاءت ألفاظه الموسيقية التي تتضمن هذا الحرف وتبعث فيه ذلك الاحساس.

[1] – ديوان حسان بن ثابت، قصيدة " خلقت كما تشاء"، ص21.

[2] – المرجع نفسه، قصيدة " أتانا بعد يأس"، ص54.

- الجهر والهمس:

من خلال القراءة الصوتية لبعض قصائد الشاعر نلمس تجمعات صوتية تساهم في تحديد الدلالة، من بينها ظاهرتي " الجهر والهمس" حيث اعتمد على حروف مجهورة وأخرى مهموسة وفق ما يتلاءم مع السياق الذي تقال فيه، فيقول مثلا في قصيدته" أتانا بعد يأس"[1]:

أغَــرُّ عَلَيْهِ لِلنُّـــبُوَّةِ خَـــــاتَمٌ مِنَ اللَّهِ مَشْـــهُودٌ يَلُـــــــوحُ ويُشْهَدُ
وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيّ إلى اسمهِ إذا قَالَ في الخَمْسِ المُؤذِّنُ أشْـــــهَدُ
وشـــــــقّ لهُ منِ اسمهِ ليجلهُ فذو العرشِ محمودٌ، وهـــذا محـمدُ
نَبيٌّ أتَانَا بَـــــــعْدَ يَأسٍ وَفَتْرَةٍ منَ الرسلِ، والأوثانِ في الأرضِ تعبدُ
فَأمْسَى سِرَاجاً مُسْتَنيراً وَهَـــادِياً يَلُوحُ كـــــما لاحَ الصّـــــقِيلُ المُهَنَّدُ
وأنذرنا نـــــاراً، وبـــشرَ جـنةً وعلـــــمنا الإســـــلامَ، فاللهَ نـــحمدُ
وأنتَ إلهَ الخلقِ ربي وخـــالقي بـــذلكَ ما عـــــمرتُ فيا لناسِ أشهدُ

يتبين أن الشاعر مال إلى استعمال حرف النون بكثرة وهو من الأصوات المجهورة، فصار مكونا إيقاعيا صوتيا ودلاليا يناسب ومقام الكلام، مقام الفخر والاعتزاز به – صلى الله عليه وسلم كونه يتحدث عن أشرف الخلق، فتأثره بروح الإسلام جعل فخره مستمدا من هذا الدين الجديد، ليختار بعناية ألفاظه الموسيقية التي تتضمن هذا الحرف نحو (النبوّة، المؤذن، نبي، مستنيرا، المهند، أنذر، جنة، نحمد..) وباعتبار النون صوتا مجهورا فهو الصوت المناسب الذي له القدرة الإيحائية للجهر بمكانة النبي و الفخر ببعثته، فتجعل القارئ يعيش تلك النفحات باستشعار مكانته – صلى الله عليه وسلم–.

وفي قصيدة أخرى يفخر حسان بالنصر يوم بدر، فيقول[2]:

وَعَلوْنا يَوم بدرٍ بِالتُقَى طَاعة الله وتَصديق الرسلْ

[1] – الديوان، قصيدة " أتانا بعد يأس"، ص54.

[2] – المرجع نفسه، قصيدة" انصرفتم مثل إفلات الحجل" ص182.

بخنَاظيل كَجِنان المـلا من يلاقوه من الناس يُـهَلْ

وَتركنا في قريش عَورة يَوم بدرٍ وأحَـاديث مَـــثَلْ

جمع في الأبيات مقام فخر بنصرة النبي– صلى الله عليه وسلم– والقوة والبأس الذي بذله المسلمون تبعه بنبرة عالية انبثقت من فخره لتهجو قريشا، ناسب من خلالها استعمال الحروف المجهورة كالراء والطاء ليدل على قوة وعز المسلمين ويرد بشدة على المشركين، فأحدث سياق الموقف وهو يوم بدر أثره في الشاعر محفزا إياه على إنشاد شعر يفخر بالمسلمين ويذل أعداء الدين.

وفي نماذج أخرى اعتمد على أصوات مهموسة كصوت " التاء"، فقال في قصيدته" بوركت يا قبر الرسول"[1] :

مَعارِفُ لَم تُطمَس عَلى العَهدِ آيُها أَتاها البِلى فَالآيُ مِنها تُـــجَدَّدُ

عَرِفتُ بِها رَسمَ الرَسولِ وَعَـــهدَهُ وَقَبراً بِها واراهُ في التُربِ مُلــحِدُ

ظَلَلتُ بِها أَبكي الرَسولِ فَأَسعَدَت عُيونٌ وَمِثلاها مِنَ الجِفنِّ تُسعَدُ

تَذَكَّرُ آلاءَ الرَسولِ وَمـــــا أَرى لَها مُحصِياً نَفسي فَنَفسي تَبَــلَّدُ

مُفَجَّعَةً قَد شَفَّها فَـــــقدُ أَحـمَدٍ فَظَلَّت لِآلاءِ الـــــرَسولِ تُــعَدِّدُ

وَما بَلَغَت مِن كُلِّ أَمرٍ عَشـــيرَهُ وَلَكِن لِنَفسي بَعدُ مـــا قَد تَوَجَّدُ

أَطالَت وُقوفاً تَذرِفُ العَينُ جُهدَها عَلى طَلَلِ القَبرِ الَذي فيهِ أَحمَدُ

ساعد حرف "التاء" الشاعر على التعبير عن مشاعره، فهي صوت مهموس أراد من خلاله التعبير عن حزنه بفقد الرسول وتغييم ذلك الإحساس برؤية معالمه كقبره – صلى الله عليه وسلم– فأراد أن تكون كلماته مهموسة لتصل إلى ذهن المتلقي فيحسّ بمرارة الحزن لفقد الرسول، هذا التوظيف

[1] – الديوان، قصيدة:" بوركت يا قبر الرسول"، ص61.

للكلمات (مثل: الترب، ظللت، تذكر، تبلّد، مفجعة، تذرف..) يعود إلى حسن الاختيار وإلى الدقة في الانتقاء ليدل بها على موقفه النفسي وحالته العاطفية الحزينة.

" فالكلمات المكونة للشعر تعدّ أجزاء موسيقية بسبب حروفها الداخلية، وعن طريق تحركات هذه الحروف تشكل الكلمات في النهاية نغمات موسيقية تغني البيت والقصيدة بأكملها بانسيابية إيقاعية مناسبة"[1].

ب- المستوى الصوتي الخارجي.

للسياق الصوتي أثر في توجيه دلالة النص الشعري من خلال البحور الشعرية والقوافي وحرف الروي، فكل ذلك له أثر في الإفصاح عن المعاني، ويتجسد المستوى الصوتي الخارجي في الوزن والقافية، فالوزن يعتبر مرآة الشعر وصورته فهو نظام يحدد به نمط التفعيلة، والموسيقى تقوم على تقسيم الجمل إلى مقاطع صوتية تختلف طولا وقصرا، فتبنى على وحدات صوتية معينة على نسق معين يتيح لها إصدار أصوات موسيقية عالية تقوى بها القصيدة وتسهم في إنتاج إيحاءات دلالية.

وفي شعر حسان بن ثابت نلحظ استعماله لعدة أبحر منها: الطويل والبسيط والكامل والوافر، يقول عبد الحميد ناجي:" والذي أميل إليه أن الأوزان المختلفة التي تتألف منها بحور الشعر لا تتبع الغرض، بل تكون تابعة للحالة الانفعالية للشاعر ودرجة توتره النفسي حين العملية الإبداعية".[2]

قال حسان في قصيدته" كان الفتح وانكشف الغطاء ":[3]

[1] – سامي شهاب أحمد الجبوري، شعر ابن الجوزي–دراسة أسلوبية– دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص166.

[2] – ناجي مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات في النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص59.

[3] – الديوان، قصيدة " كان الفتح وانكشف الغطاء"، ص20.

وجـــــبريل رســـــول الله فينا

0/0// 0/0/0// 0/0/0//

مُــفاعلْتن مُفاعلْتن فعولن

وروح الــقدس ليس له كــفاء

0/0// 0/0/0// 0/0/0//

مُفاعلْتن مُفاعلْتن فعولن

وقال الله قــد أرســلت عــبدا

0/0// 0/0/0// 0/0/0//

مُفاعلْتن مُفاعلْتن فعولن

يــقول الحــق إن نــفع الــبلاء

0/0// 0/0/0// 0/0/0//

مُفاعلْتن مُفاعلْتن فـعولن

شـــهدت به فــقوموا صدّقوه

0/0// 0/0/0// 0/0/0//

مُفاعلْتن مُفاعلْتن فعولن

فـــقلتم لا نـــقوم ولا نـشاء

0/0// 0/0/0// 0/0/0//

مُفاعلْتن مُفاعلْتن فعولن

وقـــــال الله قـــد يسرت جندا

0/0// 0/0/0// 0/0/0//

مُفاعلْتن مُفاعلْتن فعولــن

هــم الأنصار عرضتها اللّقاء

0/0// 0/0/0// 0/0/0//

مُفاعلْتن مُفاعلْتن فعولن

استعمل الشاعر البحر الوافر لما له من خصوصية في شعره وما يشده إليه من وشائح غنائية وأسلوبية موسيقية، فهو يناسب هذه الأغراض لأنه ذو نغمة قومية فهو يجمع بين القوة والوقار وكان مناسبا لبيان مكانة النبي ومناصرة الأنصار له، فالحالة النفسية لدى الشاعر وما يختلج في نفسيته دعت إلى استعمال هذا اللون من البحور الشعرية، وجاءت تفعيلاته " مُفاعلْتن مُفاعلْتن فعولن " مساعدة لنقل تلك الأوصاف وما يريد التعبير عنه، ليكوّن تلك النقلة النوعية على مستوى المضامين الشعرية، ويحدث أثرا في البنية الإيقاعية وتجلياتها الدلالية في النص الشعري.

أما القافية فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعدد معين من المقاطع ذات نظام خاص، وتكرارها هذا يكون جزءا من الموسيقى الشعرية.

ومن خلال الدراسة العروضية لبعض قصائده الشعرية نلحظ أنها جاءت موحدة القافية على النّحو المتبع في الشعر العمودي وتكون مطابقة مع حركة الروي.

قال في قصيدته" كان الفتح وانكشف الغطاء " يهجو الكفار[1]:

لَـــــــنا في كُلِّ يَومٍ مِن مَـعَدٍّ قِتالٌ أَو سِبابٌ أَو هِـــجاءُ

فَنُحكِمُ بِالقَوافي مَن هَجــانا وَنَضرِبُ حينَ تَختَلِطُ الدِماءُ

وَقالَ اللَهُ قَد أَرسَلتُ عَبــداً يَقولُ الحَقَّ إِن نَفَعَ الــبَلاءُ

شَهِدتُ بِهِ وَقَومي صَــدَّقوهُ فَقُلتُم ما نُجيبُ وَما نَشــاءُ

وَجِبريلٌ أَمـــــينُ اللَهِ فينا وَروحُ القُدسِ لَيسَ لَهُ كِـفاءُ

أَلا أَبلِغ أَبا سُـــفيانَ عَنّي فَأَنتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَــواءُ

هَجَوتَ مُحَمَّداً فَأَجَبتُ عَنهُ وَعِندَ اللَهِ في ذاكَ الجَــزاءُ

أَتَهجوهُ وَلَستَ لَهُ بِكُــفءٍ فَشَرُّكُما لِخَيرِكُما الفِــــداءُ

هَجَوتَ مُبارَكاً بَرّاً حَــــنيفاً أَمـــينَ اللَهِ شيمَتُهُ الوَفــاءُ

فَمَن يَهجو رَسولَ اللَهِ مِنكُم وَيَمدَحُهُ وَيَنصُــرُهُ سَــواءُ

استعمل الشاعر القافية المقيدة (ساكنة الروي) لما لها من دلالات فنية أوحت بالثبات والجزم فهي تلائم موقفه من الكفار ليعبر بها عن صرامته، ولما تضفيه من الاتزان الصوتي على القصيدة وتقلل من التمطيط الغنائي، واستعمال حرف الروي وهو الهمزة يوحي بالسكون والحدّة والغلق التي تعكس نظرته للمشركين والرد عليهم، إذ اتقضى السياق النفسي وما يعيشه الشاعر من ناحيته النفسية اتجاه المشركين والرد عليهم والصرامة بالهجاء ليمنح من خلالها إيقاعا صارما ومشدودا.

[1] – الديوان، قصيدة " كان الفتح وانكشف الغطاء"، ص 20.

نخلص إلى أن اللغة ظاهرة بشرية ونظامية أساسها الفعل التواصلي، إذ هي مجموعة أنساق تتألف من وحدات صوتية تحمل دلالات معيّنة، ويعد التركيب الصوتي عنصرا أساسيا في النص الشعري وهو أحد العناصر المشكلة للإيقاع في بنية النص، وهو في تفاعله مع العناصر الأخرى يسهم في تشكيل الرؤية وأبعادها الفنية والجمالية، وهو من أبرز العناصر الدلالية التي تساهم في التعبير عن المعنى وإيصاله إلى المستمع.

1-2 : السياق في المستوى الصرفي.

لقد شكلت المؤثرات الصرفية بعدا دلاليا في فهم جوانب النص الشعري، وهذه المؤثرات تفهم بدورها في إطار التشكيل السياقي للنص الواردة فيه، فالتحليل السياقي للكلمة كفيل بتحديد الدلالة التي يقصدها المتكلم وذلك من خلال تحليل سياقها " الذاتي والتحاوري" وهذا الأخير "يتمثل في الترادف والتضاد والجناس والموقف والعاطفة أي علاقة الكلمة بما يجاورها في سياق النص وليس ما يجاورها مباشرة، لأنّ النص كل متكامل يكمل بعض البعض"[1]، أما السياق الذاتي للصيغة الصرفية فيتمثل في السوابق واللواحق التي تدخل في تكوين الكلمة وتشكيل دلالتها في النص الشعري، ومن خلال دراستنا لبعض قصائد الشاعر وقفنا على مجموعة من السياقات الذاتية للكلمة، مثال منها لا على سبيل الحصر:

الكلمة	القصيدة	السوابق	اللواحق
عفت ، كانت	كان الفتح وانكشف الغطاء		تاء التأنيث المتصلة بالفعل
تعرضوا، فاصبروا وردوا، ألبسوا,	كان الفتح وانكشف الغطاء		الواو والألف

[1] – مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2002م، ص230.

قنطوا.	وكفى الإله المؤمنين		
يقول، يهجو، يؤرقني.	كان الفتح وانكشف الغطاء	حرف المضارعة الياء	
تلد، تر، تشاء	خلقت كما تشاء	حرف المضارعة التاء	
ظللت، عرفت، بلغت.	بوركت يا قبر الرسول		تاء المتكلم
يمشون	يهددوني كأني لست من أحد		الواو والنون الدالة على الجمع

من خلال الجدول يتضح أن حروف المضارعة (الياء، التاء) كان لها دور في إبراز الموقف وجعل القارئ يحس بالمشاهد ويعايشها كأنه يراها، فالذات هنا جزء من بنية القصيدة إذ ساهمت في تشكيل النص الشعري، كما قال في قصيدته" كان الفتح وانكشف الغطاء":[1]

عَدِمنا خَيلَنا إِن لَم تَرَوها تُثيرُ النَقعَ مَوعِدُها كَـــــداءُ

يُبارينَ الأَسِنَّةِ مُصــغِياتٍ عَلى أَكتافِها الأَسَلُ الظِمــاءُ

تَظَلُّ جِيادُنا مُتَـــمَطِّراتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بِالخُـــمُرِ النِساءُ

فَإِمّا تُعرِضوا عَنّا اِعتَمَرنا وَكانَ الفَتحُ وَاِنكَشَفَ الغِطاءُ

وكذلك اللواحق المتمثلة في الضمائر المتصلة التي تلحق الأفعال الماضية والمضارعة (تاء التأنيث، ألف الاثنين، نون النسوة، واو الجماعة، تاء المتكلم) فقد دلت على الذات المفردة حينا والذات الجماعية حينا آخر، وقد خرجت هذه اللواحق عن السياق الذاتي للمتكلم إلى السياق الخطابي للنص.

[1] –الديوان، قصيدة" كان الفتح وانكشف الغطاء"، ص 19.

قال الشاعر في قصيدته" بوركت يا قبر الرسول"[1]:

إمامٌ لَهُم يَهديهِمُ الحَقَّ جـــــاهِداً مُعَلِّمُ صِدقٍ إِن يُطيعوهُ يَســـعَدوا

عَفُوٌّ عَنِ الزَلّاتِ يَقبَلُ عُـــــذرَهُم وَإِن يُحسِنوا فَاللَهُ بِالخَيرِ أَجـــوَدُ

وَإِن نابَ أَمرٌ لَم يَقوموا بِحَـــملِهِ فَمِن عِندِهِ تَيـــــــسيرُ ما يَتَشَدَّدُ

فَبينا هُمُ في نِعمَةِ اللَهِ وَسطَـــهُم دَليلٌ بِهِ نَـــــهجُ الطَريقَةِ يُقـــصَدُ

عَزيزٌ عَلَيهِ أَن يَجوروا عَنِ الهُدى حَريصٌ عَلى أَن يَستَقيموا وَيَهتَدوا

الشاعر أكثر من استعمال واو الجماعة وفي ذلك دلالة على بيان أثره وفضله – صلى الله عليه وسلم – على المسلمين، فخاطب الذوات الأخرى باستعماله اللاحقة (واو الجماعة) ليثير انتباههم ويشد نظرهم لتعظيم ما هو بصدد الحديث عنه، فلواحق الكلمة أسهمت في تشكيل دلالة الخطاب الشعري شريطة أن تدرس اللاحقة في أطار سياقها الشعري وليس بمعزل عنه.

2- : أثر السياق على مستوى البينة التركيبية.

2-1: السياق في المستوى النحوي.

تقوم اللغة على الاستعمال اللغوي المرتكز على النظام القاعدي الضابط لكيفيات التوظيف اللغوي، وباعتبار النحو الركيزة الأساسية في التحليل الدلالي، يتمكن القارئ من الكشف عن نظام الجمل وأنواعها، محاولا القيام بدراسة تحليلية لتركيباتها الداخلية، ذلك أن علاقة التراكيب النحوية والمضامين الشعرية علاقة متكاملة ومترابطة تحكمها قيود لغوية عديدة، فليس غاية النحو توالي الألفاظ فحسب، بل الهدف منه هو تناسق الدلالات إذ ترتبط الكلمات بعضها مع بعض وفق القرائن اللفظية والمعنوية حتى تؤدي الغرض المطلوب منها، نستشف ذلك من خلال:

[1] – الديوان، قصيدة" بوركت يا قبر الرسول "، ص 62.

- **الأزمنة:**

تعد الأزمنة في القصائد الشعرية من أهم الوحدات اللغوية التي يعنى الباحثون بدراستها، كونها من القرائن المساهمة في فهم المعنى وتحديه وحصره، ومن تلك الأزمنة نجد فعل الأمر، كما في قصيدة" مؤتة ووقعة التغوير":[1]

عَينُ جودي بِدَمعِكِ المَنزورِ وَاِذكُري في الرَخاءِ أَهلَ القُبورِ

وَاِذكُري مُؤتَةً وَما كانَ فيها يَومَ وَلَّوا في وَقـــعَةِ التَغويرِ

حينَ وَلَّوا وَغادَروا ثَمَّ زَيــداً نِعمَ مَأوى الضَــريكِ وَالمأسورِ

حِبَّ خَيرِ الأَنامِ طُرّاً جَميعاً سَيِّدِ الناسِ حُبُّهُ في الصُــدورِ

ذاكُمُ أَحمَدُ الَّذي لا سِــواهُ ذاكَ حُزني مَعاً لَهُ وَسُــروري

إِنَّ زَيداً قَد كانَ مِنّا بِأَمــرٍ لَيسَ أَمرَ المُكَذَّبِ المَغرورِ

ثُمَّ جودي لِلخَزرَجِيِّ بِدَمعٍ سَيِّداً كانَ ثَمَّ غَيرَ نَــزورِ

قَد أَتانَ مِن قَتلِهِم ما كَفانا فَبِحُزنٍ نَبيتُ غَيرَ سُــرورِ

إن صيغة الأمر ممثلة بالتراكيب (جودي، اذكري) جاءت حاضنة للدلالات النصية، ومعمقة للإحساس بصدق الانفعال عند الشاعر، فصيغة الأمر هنا تمثل نظاما رمزيا يرتد إلى مقصدية نظامية، فهو يمثل علاقة لغوية تقود إلى فهم الشحنة الدلالية والعاطفية الكامنة وراء تكرار هذه الصيغة عند الشاعر.

[1] – الديوان، قصيدة" مؤتة ووقعة التغوير"، ص 110.

ونجد تكرار صيغة الماضي كما في قصيدته" حماة الروع":[1]

لَقَد عَلِمَت قُرَيشٌ يَومَ بَــدرٍ غَداةَ الأَسرِ وَالقَتلِ الشَديـــــدِ

بِأَنّا حينَ تَشتَجِرُ العَوالـــي حُماةُ الرَوعِ يَومَ أَبي الوَلـــيدِ

قَتَلنا اِبنَي رَبيعَةَ يَومَ ساروا إِلَينا في مُضاعَفَةِ الحَـــــديدِ

وَفَرَّ بِها حَكيمٌ يَومَ جــالَت بَنو النَجّارِ تَخطِرُ كَالأُســـودِ

وَوَلَّت عِندَ ذاكَ جُموعُ فِهرٍ وَأَسلَمَها الحُوَيرِثُ مِن بَـعـــيدِ

لَقَد لاقَيتُمُ خِـــــزياً وَذُلّاً جَهيزاً باقِياً تَحتَ الـــوَريـــدِ

وَكانَ القَومُ قَد وَلَّوا جَميعاً وَلَم يَلوُوا عَلى الحَسَبِ التَليدِ

إن تكرار صيغة الماضي جاءت لتبين مجد حسان بن ثابت وقومه، فهو يبين أن قريشا قد علمت يوم بدر بأنهم قتلوا ابني ربيعة وفرّ ابن حزام بن عبد العزى يوم بدر، يوم كان بنو النجار يتخاطرون كالأسود، ثم ولّت جموع فهر، فأسلمها الحارث بن هشام بن المغيرة الذي انهزم يوم بدر ثم أسلم، وقد تقلدوا الخزي والذل في أعناقهم، وقد ولى القوم جميعا وبقيت العزة والمنعة لبني النجار، فجاء تكرار الفعل الماضي لخدمة هذا الموقف الشعري ولبيان حالة الشاعر العاطفية.

- التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير هو أحد الأساليب البلاغية في الشعر العربي، وغالبا ما يخترق الشاعر نظام التراكيب اللغوية فينزاح في بناء الجمل والعبارات دون الإخلال بنظام اللغة العربية ، وله أغراض عديدة كالتوكيد وإثارة الانتباه، عرفه عبد القاهر الجرجاني:" هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع

[1] – الديوان، قصيدة" حماة الروع"، 87-88.

التصرف بعيد الغاية ولا يزال يفتر لك بديهة ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديه موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان" [1] وقد استخدم الشاعر هذا الأسلوب بقوة في شعره مما يعكس براعته في توظيف اللغة لخدمة أغراضه الشعرية.

- كما في قول الشاعر "وأحسن منك لم تر قط عيني "

المسند إليه هو الضمير المستتر " أنت " العائد على النبي – صلى الله عليه وسلم– وقد قدم المسند "أحسن" وذلك لتخصيص وقصر تلك الصفات به– صلى الله عليه وسلم– على صيغة التفضيل، لا يتجاوزها إلى صفات أخرى، وإثارة تشويق القارئ لذكر المسند إليه، فأعطى هذا التقديم قوة للمعنى وأبرز صفاته– صلى الله عليه وسلم– وبيّن الشاعر من خلال ذلك حبه له وتعظيمه وشعوره العاطفي اتجاه نبيّه.

وقوله:" بها منبر الهادي" حيث قدم الخبر(بها) للحصر الإضافي الدال على التعظيم والتبجيل إشارة إلى حرمة المكان وقداسته فالثقافة عند الشاعر وارتباطه بمعالم دينه جعلته يستشعر عظمة المكان وحرمته، فناسب ذلك المقام إجلاله ضمن دوافعه الفكرية والثقافية.

- الحذف :

يعد الحذف ظاهرة لغوية، وهو مما يستحسن في كلام العرب، تميل إليها للإيجاز والاختصار والميل إلى الخفة، قال عبد القاهر الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة"[2]، وهو في الدراسات اللسانية المعاصرة يدخل ضمن ما يسمى بظاهرة الحذف اللغوي، له أثر جمالي يتجلى من خلال المعنى، ونجد من ذلك قول الشاعر:

[1] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص135.

[2] – المرجع نفسه، ص 272.

–وإن يأخذوا ثارا يصبك نصيبه.

الجواب" يصبك نصيبه" جملة فعلية وكان من المتوقع أن تدخل الفاء على الجواب لكنها حذفت وذلك للمحافظة على الضرورة الشعرية، يقول النويهي:" إن الوزن في الشعر ليس شيئا زائدا يمكن الاستغناء عنه، وليس مجرد شكل خارجي يكسب الشعر زينة ورونقا وحلاوة وطلاوة"[1].

- الجمل بين الاسمية والفعلية:

نجد في شعر حسان بن ثابت تراوحا بين الجمل الإسمية والفعلية، ومن أمثلة الجمل الإسمية قوله:

هم جبل الإسلام والناس حــوله رِضام إلى طَود يَروق ويقهر[2]

هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم وفيهـــم ذا الكتاب المطهر.

فاستخدم الشاعر الجمل الإسمية لإحداث نوع من الاستقرار النفسي، وأكثر استعمالها في المدح لتعزيز ثباته وديمومته بنصرته للنبي – صلى الله عليه وسلم– .

ونجد كثرة توظيفه للجمل الفعلية كما في قصيدته:" وَكانَ الفَتحُ وَانكَشَفَ الغِطاءُ ":[3]

عَـــدِمنا خَيلَنا إِن لَم تَرَوها تُثيرُ النَــقعَ مَوعِدُها كَـداءُ

يُـــــبارينَ الأَسِنَّةِ مُصغِياتٍ عَلى أَكتافِها الأَسَلُ الظِـماءُ

تَظَلُّ جِـــــيادُنا مُتَمَطِّراتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِـــساءُ

فَإِمّا تُـــعرِضوا عَنّا اِعتَمَرنا وَكانَ الفَتحُ وَانكَشَفَ الغِطاءُ

وَإِلّا فَاِصبِروا لِجَـــــلادِ يَومٍ يُعينُ اللَهُ فـــيهِ مَن يَشاءُ

[1] – النويهي، قضية الشعر الجديد، المطبعة العالمية، ضريح سعد، القاهرة، 1964م، ص38.

[2] – الرضام: جمع رضمة وهي الصخرة العظيمة، والطود: الجبل، الديوان، " دعائم الإسلام"، ص109.

[3] – الديوان، قصيدة:" وَكانَ الفَتحُ وَانكَشَفَ الغِطاءُ "، ص 19.

كثر في شعره استخدامه الجمل الفعلية للدلالة على الحركية وتفاعله مع الأحداث والسياقات المختلفة خاصة في هجائه للكفار، ووصف الغزوات وما دار فيها من حوادث، فالفعل يخلق حسا حركيا استطاع بواسطته نقل المواقف وجعل القارئ يستجيب لتلك المواقف الفعلية، كما ناسب المقام وأرض المعارك والبيئة التي عايشها في تلك الفترة من كثرة الحروب بين المسلمين والمشركين استعماله للجمل الفعلية بكثرة.

2-2: السياق في المستوى الدلالي.

اهتم الدارسون بدراسة الدلالة وإحصاء أنواعها بالاعتماد على مقاييس الطبيعة أو العقل أو العرف، فأحصيت أنواع من الدلالة كالدلالة الطبيعية، العقلية، العرفية، والدلالة الهامشية التي يكتسبها اللفظ داخل سياق لغوي معين أو داخل سياق خارجي، بالاستناد على قصد المتكلم في خطابه وطبيعة الذات المتلقية للنص الشعري، وهي دلالة إيحائية ناشئة عن الانزياح الدلالي للألفاظ، يقول الآمدي نقلا عن منقور عبدالجليل :" فاللفظ قد ينزاح عن دلالته الأصلية ويخرج من نطاق الوضع والتعارف بكيفية قصد المتكلم الذي يظهر في بنية المتكلم، فالدلالة التي ينتجها السياق النفسي والمقامي للمتكلم هي دلالة إيمائية إيحائية غير وضعية".[1] نستشف هذه الرسائل الإيحائية في شعر حسان بن ثابت، حيث اعتمد على العديد من المؤشرات الشعرية السياقية الكفيلة بخلق نوع من التفاعل بين المتكلم والنص الشعري وقارئه، نذكر منها:

- الحقول الدلالية:

تعمل الصناعة اللغوية على الإقناع والإمتاع، ونجد أن الشاعر انتقى ما يناسب المقام من مفردات فله حقول دلالية خاصة به، من خلال قراءة بعض قصائده ومنها قصيدة " بوركت يا قبر الرسول" نجد منها:

[1] – ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص182.

✓ حقل الإنسان:

كما في قول الشاعر في قصيدته "بطيبة رسم للرسول ومعهد" والتي ضمت مفردات دالة على صفاته الخلقية والخلقية ومعتقداته مثل: أيد، أبكي، أرى، أسعدت، العين، الرشيد، تذرف، الناس، جفن، يقتدي، ينقض، يهدي، يطيع، يتغمد، موحشات، دموع، العقل.

فسياق الوصف له –صلى الله عليه وسلم– تناسب للإتيان بهذا الحقل الدلالي ليعبر عن ما يكنه للنبي والاهتمام به والحزن لفراقه.

✓ حقل الطبيعة :

موظفا ألفاظ الطبيعة مثل: الترب، السماوات، الأرض، الثرى فقال في قصديته "بوركت يا قبر الرسول"[1]:

تَهيلُ عَلَيهِ التُربَ أَيدٍ وَأَعيُـــنٌ عَلَيهِ وَقَد غـــــارَت بِذَلِكَ أَســعُدُ

لَقَد غَيَّبوا حِلماً وَعِلماً وَرَحمَــةً عَشِيَّةَ عَلَّوهُ الثَـــــــــرى لا يُوَسَّدُ

وَراحوا بِحُزنٍ لَيسَ فيهِم نَبيُّــهُم وَقَد وَهَنَت مِنهُم ظُهورٌ وَأَعضُـــــدُ

يُبَكّونَ مَن تَبكي السَمَواتُ يَومَهُ وَمَن قَد بَكَتهُ الأَرضُ فَالناسُ أَكمَدُ

واستخدم حقل الطبيعة للتعبير عن نفسيته وشعوره بالحزن حيث لم يجد رفيقا يستأنس به ويشكو له ما بداخله غير الطبيعة.

✓ حقل الألفاظ الدينية:

مثل قوله:[2]

تَقَطَّعَ فيهِ مُنزَلُ الوَحــيِ عَنـــهُمُ وَقَد كانَ ذا نورٍ يَغورُ وَيُنُـــــجِدُ

[1] – الديوان، قصيدة: "بوركت يا قبر الرسول"، ص 61–62.

[2] – المرجع نفسه، قصيدة "بوركت يا قبر الرسول"، ص62.

يَدُلُّ عَلى الرَحمَنِ مَـن يَقتَدي بِهِ وَيُنقِذُ مِن هَولِ الخَزايا وَيُـــرشِدُ

إِمامٌ لَهُم يَهديهِمُ الحَقَّ جـــاهِداً مُعَلِّمُ صِدقٍ إِن يُطيعوهُ يَســعَدوا

عَفُوٌّ عَنِ الزَلّاتِ يَقبَلُ عُـــذرَهُم وَإِن يُحسِنوا فَاللَهُ بِالخَـــيرِ أَجوَدُ

وَإِن نابَ أَمرٌ لَم يَقوموا بِحَـــملِهِ فَمِن عِندِهِ تَيســـــيرُ ما يَتَشَدَّدُ

فَبينا هُمُ في نِعمَةِ اللَهِ وَســـطَهُم دَليلٌ بِهِ نَهـــــجُ الطَريقَةِ يُقصَدُ

عَزيزٌ عَلَيهِ أَن يَجوروا عَنِ الهُدى حَريصٌ عَلى أَن يَستَقيموا وَيَهتَدوا

وهذه الألفاظ الدينية راجعة إلى أثر الإسلام على الشعراء ويعكس شدة اتصال الشاعر حسان بدينه وبالرسول – صلى الله عليه وسلم– فسياق الدين والدفاع عنه أثمر دلالات جديدة على غير ما كان معتادا عليه في الشعر الجاهلي.

وقوله[1]:

اللهُ أَكْـــرَمَنَا بِنَـــــصرِ نبِيهِ وبِنا أَقَام دعَائم الإســـــلامِ

وبِـــنا أعـــزَّ نبِيَّه وكِـتابه وَأعزَّنا بالضَّرْبِ والإِقْـــدامِ

فِي كل معترك تَطير سُيُوفـنا فِيها الجَمَاجِمُ عَلى فِراخ الهَام[2]

يَنتَابنا جِبريلُ في أبْـــــياتِنا بفَرائِض الإسلامِ والأَحـــكامِ

يَتلُو علَينا النُّورَ فِيها مُحكَما قَسَمًا لَعمْرك ليْس كَالأَقسَـامِ

فَنَكُونُ أَولَ مُسْتَحِلٍ حَـــلَالِه وَمُحَرِّمٍ لله كُـــــــلَّ حَـــرَامِ

[1] – الديوان، قصيدة "الله أكرمنا بنصر نبيّه"، ص 230.

[2] – فراخ الهام: الأدمغة.

نَحْن الخيار من البَريَّة كُلِّها ونِظامها زِمامُ كـــــل زمامِ

إن سياق الفخر والاعتزاز بالإسلام، الفخر بنزول جبريل- عليه السلام- جعل للشاعر حظا من المفردات الإسلامية التي لم يشهدها ضمن شعره الجاهلي، فهذا المقام الديني أسبغ شعره الجديد بكلمات إسلامية مثل: الإسلام، النور، الحلال، الحرام، جبريل، الفرائض، لتكون روح الإيمان بالله تعالى حاضرة والفخر بالدين الجديد.

✓ حقل الألم والحزن:

ومما نجد: البلى، تلبد، مفجعة وغيرها، قال الشاعر[1]:

معالم لَم تُطمَس عَلى العَـهدِ آيُها أَتاها البِلى فَالآيُ مِنها تُجَـــدَّدُ

عَرِفتُ بِها رَسمَ الرَسولِ وَعَـــهدَهُ وَقَبراً بِها واراهُ في التُربِ مُلـــحِدُ

ظَلَلتُ بِها أَبكي الرَسولِ فَأَسعَدَت عُيونٌ وَمِثلاها مِنَ الجِفنِّ تُســـعَدُ

تَذَكَّرُ آلاءَ الـــرَسولِ وَمـــا أَرى لَها مُحصِياً نَفسي فَنَـــفـــسي تَبـلَّدُ

مُفَجَّعَةً قَد شَفَّها فَقدُ أَحـــــــمَدٍ فَظَلَّـــــــت لِآلاءِ الرَسولِ تُعَـــدِّدُ

وَما بَلَغَت مِن كُلِّ أَمـــرٍ عَشيرَهُ وَلَكِن لِنَفسي بَعـــــدُ ما قَد تَوَجَّدُ

أَطالَت وُقوفاً تَذرِفُ العَينُ جُهدَها عَلى طَلَلِ القَبـــرِ الَذي فيهِ أَحمَدُ

وهذا راجع إلى نفسية الشاعر وحزنه وألمه على فقدانه خير الخلق – صلى الله عليه وسلم- فانعكس هذا السياق النفسي على الألفاظ وناسبت مقام الحزن والأسى عليه –صلى الله عليه وسلم- فالمعنى العاطفي يشكل بعدا دلاليا يساهم في فهم النص الشعري.

[1] – الديوان، قصيدة: "بوركت يا قبر الرسول"، ص 61.

- العلاقات الدلالية: من بينها:

✓ الترادف:

لفتت ظاهرة الترادف أنظار علماء اللغة العربية القدماء والمحدثين، وقد كانت موضع أخذ ورد عند علماء اللغة الأقدمين، فمنهم من أثبت وجودها ومنهم من أنكرها وحجتهم في ذلك أنّ الألفاظ التي تسمى مترادفة تخص بمعنى زائد، ويعرف الترادف بأنه" ألفاظ مفردة دالة على شيء واحد باعتبار واحد"[1] وهو من الأساليب اللغوية التي يوظفها الشعراء لنقل أفكارهم إلى الآخرين، فقد احتل مكانة في شعر حسان بن ثابت حيث ارتبط بتجربته وإسلامه وحالته الشعورية النفسية، عبر بها عن أحاسيسه وانفعالاته الداخلية .

ويعد الترادف اللفظي من الأساليب الدلالية التي استخدمها كما في مرثيته فقال في ذلك:

فصار من المستشهدين ثوابه جنان وملتف الحدائق أخضر

فنلحظ الألفاظ(جنان، ملتف، الحدائق، أخضر) فهذه الدوال ترمز إلى المكان الممتلئ بالأشجار الخضراء، وهنا الشاعر يصف الجنة، فحالته الشعورية الحزينة على فقدانهم جعله يكرر هذه المترادفات بهذه الصورة كنوع من الصبر عليهم لأن مقامهم وما ينتظرهم يستدعي ذلك.

[1] – علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشون الثقافية العامة أفاق عربية، العراق، ط1، 1976م، ص136.

ويقول أيضا:

بهم تكشف اللأواء في كل مأزق عماس إذا ما ضاق بالقوم مصدر

استخدم الشاعر الدلالات (اللأواء، مأزق، عماس، ضاق) التي اختلفت في اللفظ لكنها اتفقت في المعنى، فالمعنى هنا الشدة التي تشير إلى تكدس الألم والشدة في قلب الشاعر.

✓ التضاد:

من السمات الدلالية التي استخدمها الشاعر التضاد، ومنه قوله:

تأويني ليل بيثرب أعسر وهم إذا ما نوم الناس مسهر

فالتضاد هنا تمثل في اللفظتين (نوم، مسهر) ليعبر بها عن الهموم والأحزان التي تجعله يجافي النوم، فعبر بالتضاد عن حالته الشعورية .

ونجده في بيت آخر يقول:

أغرُّ كلون البدر من آل هاشم أبيّ إذا سيم الظلامة مجسر

فالشاعر هنا يمدح ممدوحه بأنه مثل البدر، والبدر يضرب به المثل في البياض فجمع بين البياض والظلام في الشطر الثاني، ولرغبته الجامحة في انقشاع الظلام هو ما جعله يتكأ على هذا التضاد.

والدافع وراء استعمال الشاعر لهذه الظاهرة" التضاد" هو التأثير العاطفي، فاشتمال النص الشعري على ألفاظ متضادة دليل على وجود حالة تناقض وصراع وتقابل، تمتزج هذه الثنائيات الضدية

وتتعانق في كيان واحد معبرة عن حالة الشاعر النفسية وأحاسيسه الغامضة، فالسياق النفسي هو الذي حتم على الشاعر الاعتماد على هذه الظاهرة اللغوية دون غيرها في حالات التضاد والتناقض والتعارض.

فالمستوى الدلالي استطاع إنطاق المعاني والأحاسيس المكتظة في نفس الشاعر من خلال السياقات التي شهدها الشاعر وعاشها.

الملحق

أ- نبذة عن حياة الشاعر حسان بن ثابت:

ينتمي حسان إلى قبيلة الخزرج الأزدية، وهو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النجار، واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن الحارث بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف ين امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأجمع المؤرخون العرب على أنّ حسان عاش مائة وعشرين سنة، ستون منها في الجاهلية وستون في الإسلام، وذكر بعضهم أنه ولد قبل مولد النبي -صلى الله عليه وسلم- ببضع سنين, ورأى آخرون أنه مات سنة (50هـ) في خلافة معاوية بن أبي سفيان .[1]

ب- شعره:

- حسان الشاعر الجاهلي:

كان حسان شديد العصبية لقومه، فلا يكاد يتعرض لهم أحد بسوء حتى ينبري للدفاع عنهم بشعره فيشيد بمناقبهم ويهجو أعدائهم، وهذه العصبية تفسر لنا غلبة الهجاء والفخر على شعره الجاهلي، وان حسان بن ثابت يشارك في الحياة الأدبية في عصره وكان على صلة بالشعراء الذين يفدون على عكاظ في المواسم ومنهم النابغة والأعشى والخنساء، وقد أفاد من احتكاكه بالملوك معرفة بالشعر المدحي وأساليبه، كما أفاد وهو في قبيلته، معرفة بالشعر الهجائي ومذاهبه، وهكذا فإن حسان كان في تمام الأهبة للانتقال إلى ظل محمد- صلى الله عليه وسلم- والمناضلة دونه بسلاحي مدحه وهجائه.[2]

[1] - ينظر: عبد أ علي مهنا، شرح ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م، ص8.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص 12

- حسان شاعر الإسلام:

بعد هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم– من مكة إلى يثرب واتخاذها مقرا لبث دعوته، وكانت نيران الحرب قد خمدت بين قبيلتي الأوس والخزرج في مدينة رسول الله، ولم يعد الشعراء يجدون موضوعا آخر ينظمون فيه، غير أن قريشا سرعان ما خلقت لهم موضوعا جديدا وذلك عندما أخذ شعراؤها في هجاء الرسول والمسلمين.

نصب حسان نفسه للدفاع عن الدين الجديد والرد على المشركين، وقد نشبت بين الفرقين معارك لسانية حامية، فكان الشعر شعر نضال يهجى فيه الأعداء ويمدح فيه رجال الفريقين، ولم يكن المدح ولا الهجاء للتكسب أو الاستجداء، بل للدفاع عن سلطتين دينيتين وحكمين مختلفين، ومن ثم اصطبغ الشعر بصيغة السياسة فكان شعرا سياسيا حقيقيا، وفي هذه الحقبة أصبح حسان شاعر الرسول وأصبح شعره سجلا لجميع الأحداث التي توالت على المسلمين وأصبحت لحسان منزلة خاصة في نفوس المسلمين لدفاعه عن الرسول الكريم وذبّه عن الإسلام، وأحيط شعره بهالة من الإعجاب والتقدير.[1]

[1] – ينظر: عبد أ علي مهنا، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص 12–13.

الخاتمة

خاتمة:

من أهم النتائج التي أعرضها في خاتمة البحث ما يلي:

- ساعد السياق في إبراز القيم الدلالية التي تعكس رؤية الشاعر المخضرم وميوله ومبادئه.
- للمستوى الصوتي الخارجي والذي تمثل في الوزن والقافية أهمية في استظهار حالة الشاعر حسان بن ثابت الشعورية .
- للمستوى الصوتي الداخلي والذي تبلور في تكرار الأصوات المهموسة والمجهورة وبعض الدوال والمفردات ساعد في تجلية مشاعر الشاعر ورفع الموسيقى النغمية النفسية عنده.
- اتكأ المستوى النحوي في قصائد الشاعر على دلالة الأزمنة والتقديم والتأخير وتباين الجمل بين الخبرية والإسمية ليجعلها أساليب يحرك بها دلالات الكلمات ويعبّر عما يجول في نفسه.
- انتقاء الحقول الدلالية راجع لمقصدية الشاعر وما يخدم ميوله وفكره وأهدافه.
- المعنى شيء معقد، تشترك في تحديده جملة من العناصر، بعضها لغوي وبعضها الآخر يمتد إلى ما وراء اللغة من ظواهر اجتماعية وعوامل ثقافية، وأن أي عنصر مهما كانت أهميته لا يقوى أن يقوم منفردا لتشكيل الدلالة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم – رواية ورش عن نافع–.

❖ **المصادر:**

- ديوان حسان بن ثابت، شرح عبد أ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م.

❖ **المراجع:**

أولا: المعاجم:

1) ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر.
2) ابن منظور، لسان العرب، ، دار صادر، بيروت – لبنان– ،ط2، 2003م.
3) الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار صادر، بيروت– لبنان–، ط1، 1998م.
4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
5) علي بن محمد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.

ثانيا: الكتب:

1) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأجلو المصرية، ط6، 1991م.
2) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح.
3) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات مبحث صوتي، مبحث تركيبي، دلالي، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 2013م.
4) أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، 2001م.
5) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق – سوريا.

6) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة- مصر- ، ط 7، 2009م.
7) أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر التوزيع، بيروت – لبنان – ط1، 1993م.
8) إدريس مقبول، الأسس الابستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، دار الكتب الحديث، الاردن، ط1، 2006م.
9) إدريس مقبول، الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب والحديث، الأردن، ط1، 2011م.
10) بسام بركة، علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، مكتبة لسان العرب، لبنان، د.ط.
11) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994م.
12) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر – (د.ط) 1996م.
13) خليفة بوحادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة – الجزائر- ط1، 2009م.
14) رمضان الصباغ، نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء للنشر، الاسكندرية، ط1، 2002م.
15) سامي شهاب أحمد الجبوري، شعر ابن الجوزي-دراسة أسلوبية- دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م.
16) سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال الوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2005م.
17) صادق يوسف الدباس، دراسات في علم اللغة الحديث، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان- ط1، 2012م.

18) صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون – الجزائر– 1994م.

19) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2012م.

20) عبد الغفار حامد هلال، علم الدلالة اللغوي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2013م.

21) عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق.

22) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت – لبنان– ط1، 2004م.

23) علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء– المغرب– ، ط1، 2000م.

24) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشون الثقافية العامة أفاق عربية، العراق، ط1، 1976م.

25) عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، انجلترا، ط1، 2007م.

26) فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص– أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب– دار نينوي للطباعة والنشر، دمشق، 2011م.

27) فوزي عيسى، رانيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 2008م، ص 114–115.

28) محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، دار الشروق، بيروت – لبنان–، ط1، 2000م.

29) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب – ط2 ،2006م.

30) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت – لبنان– ط1، 1994م.

31) مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2002م.

32) منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق، ط1، 2001م.

33) ناجي مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات في النشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

34) النويهي، قضية الشعر الجديد، المطبعة العالمية، ضريح سعد، القاهرة، 1964م.

35) هادي نهر، دراسات في اللسانيات، ثمار التجربة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011م.

36) هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م.

ثالثا: المجلات والرسائل الجامعية:

1) عبد الرحمن يشلاغم، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي، تفسير فخر الدين الرازي سورة المؤمنون أنموذجا، رسالة ماجيستير، جامعة أبي بكر بلقايد– تلمسان– كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، 2014م.

2) عبد القادر بن زيان، فاعلية السياق في توجيه الدلالة– دراسة في المستويات اللسانية في الخطاب القرآني– مجلة أنثربوبوجية الأديان، المجلد16، العدد01، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2020 م.

3) عياد محمود، الأسلوبية الحديثة – محاولة تعريف– مجلة فصول، مجلد51، العدد2، 1981م.

4) ياسر أحمد الشمالي، السياق اللغوي وأثره في فقه الحديث النبوي، مجلة دراسات العلوم الشرعية والقانون، الأردن، مج28، العدد1، 2011.

فهرس المحتويات

المحتوى **الصفحة**

مقدمة 01
الفصل الأول: ضبط المفاهيم..... 04
1-السياق: 05
1-1 ماهية السياق لغة واصطلاحا:..... 05
1-2 أنواع السياق :..... 08
1-3 عناصر السياق :..... 14
2- الدلالة: 17
2-1 مفهومها:..... 17
2-2 أقسامها:..... 19
3-السياق والدلالة:..... 22
3-1 أهمية السياق:..... 22
3-2 السياق ومستويات التحليل اللغوي:..... 25
الفصل الثاني: أثر السياق في إنتاج الدلالة- مختارات من شعر حسان بن ثابت-..... 33
1-أثر السياق على مستوى البنية المعجمية:..... 34
1-1 السياق في المستوى الصوتي:..... 34
1-2 السياق في المستوى الصرفي:..... 42
2-أثر السياق على مستوى البنية التركيبية:..... 45
2-1 السياق في المستوى النحوي:..... 45
2-2 السياق في المستوى الدلالي:..... 49
ملحق 56
الخاتمة:..... 59
قائمة المصادر والمراجع:..... 61
فهرس المحتويات 65
ملخص..... 68

ملخص:

يعد السياق من المباحث المهمة في اللغة، فهو أحد القرائن الكبرى التي تكشف عن أغراض ومقاصد المتكلم، وجاءت هذه الدراسة للإحاطة بأثر السياق في إنتاج الدلالة من خلال نماذج شعرية للشاعر المخضرم حسان بن ثابت، بغية إبراز تلك الدلالة السياقية ضمن أطر لغوية ومقامية، إذ اللفظ وحده في أي مستوى من المستويات اللسانية لا يمكن أن يكون موجها لدلالة الشعر وكاشفا عن مقاصد الشاعر إلا بالاعتماد على السياق.

نستعرض في هذه الدراسة مفهوم السياق، أنواعه وعلاقته بعلم الدلالة ومستويات التحليل اللغوي، وخصصنا الجانب التطبيقي منها لبيان تجليات السياق وأثره ودوره الهام في خلق الدلالة وتوجيهها، يعكس من خلاله الشاعر رؤيته النفسية والاجتماعية والدينية لفرض سيطرة التعبير الشعري بين يدي قارئ النص.

الكلمات المفتاح: اللغة، السياق، الدلالة السياقية، الشعر، حسان بن ثابت.

Abstract:

Context is considered one of the key topics in linguistics, as it is one of the major clues that reveals the speaker's intentions and purposes. This study aims to explore the impact of context on the production of meaning through poetic examples from the renowned pre-Islamic and early Islamic poet Hassan ibn Thabit. The objective is to highlight contextual meaning within linguistic and situational frameworks, since words alone—at any linguistic level—cannot fully convey the meaning of poetry or reveal the poet’s intent without relying on context.

In this study, we examine the concept of context, its types, and its relationship with semantics and levels of linguistic analysis. The applied section focuses on demonstrating how context shapes and directs meaning, reflecting the poet's psychological, social, and religious perspectives, and how this contributes to asserting poetic expression in the reader’s experience.

Keywords: Language, Context, Contextual Meaning, Poetry, Hassan ibn Thabit. ---